جامعة المدينة العالمية
Al-Madinah International University

مجلة الرّاسخون
ARRASIKHUN JOURNAL

ARRASIKHUN JOURNAL

PEER-REVIEWED INTERNATIONAL JOURNAL

مجلّة الرَّاسخون

مجلّة عالميّة محكّمة

ISSN: 2462-2508

Volume 11, Issue 2, June 2025

الإصدار الحادي عشر، العدد الثاني، يونيو 2025

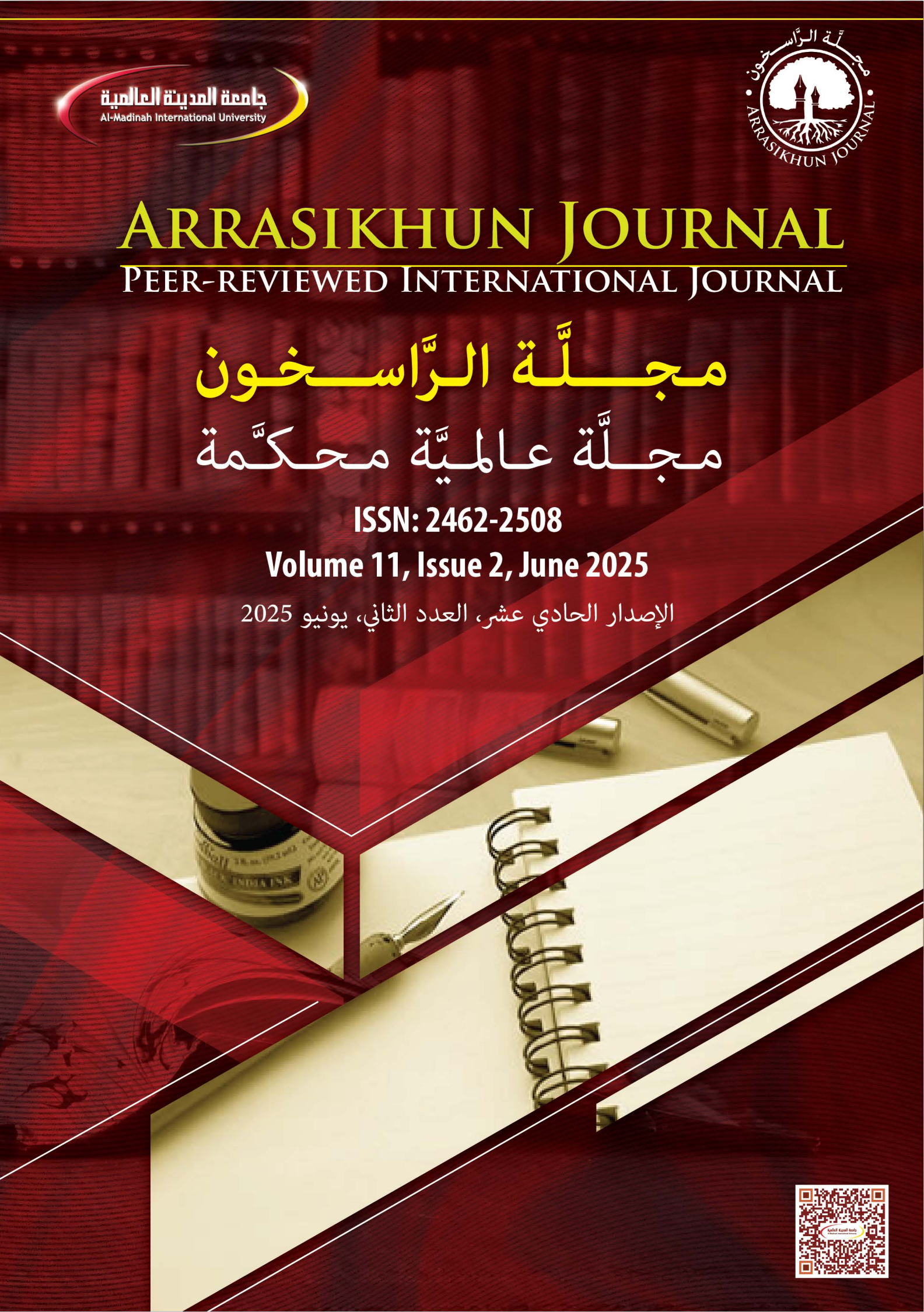

مجلة الراسخـــون

مجلة عالمية محكمة

ISSN:2462-2508

أبحاث الإصدار الحادي عشر، العدد الثاني، يونيو 2025

أولًا: الدراسات الإسلامية

البحث	صفحة
1. الاستفهام في القرآن الكريم: أغراضه وأثره في فهم المعنى	15_1
2. أثر لغة البيان في فهم القرآن الكريم	37_16
3. مجالات التفسير الموضوعي، دراسة نقدية	63_38
4. مصطلح (حسن المعرفة) عند المحدثين دراسة نظرية تطبيقية (نماذج مختارة)	81_64
5 أثر خيار الرؤية في عقد البيع وتطبيقاته العملية ومسقطاته	96_82
6. من اختيارات القاضي عبد الوهاب المالكي في بابي الإقرار، والشفعة من كتاب: (المعونة)؛ دراسة فقهية مقارنة	117_97
7. الإيمان بربوبية الله تعالى وما ينقضه من الإلحاد والشرك	159_118
8. النوازل المعاصرة في والسياسة الشرعية وموقف الدعوة الإسلامية منها	184_160
9. برامج التأصيل الشرعي والفاعلية في الجمعيات الخيرية العلمية وأثرها في الدعوة إلى الله من وجهة نظر مستفيدي الجمعيات الخيرية العلمية بجدة	200_185
10. وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها في جمهورية المالديف	218_201

ثانياً: الدراسات اللغوية

البحث	صفحة
11. نظريّة الأفعال الكلاميّة في نماذج من فن التوقيعات (دراسة تداوليّة)	248_219
12. استراتيجيات تطوير المستوى اللغوي في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها	268_249

أعضاء هيئة تحرير المجلة:

مدير هيئة التحرير: الأستاذ المشارك الدكتور/ محمد صلاح الدين أحمد فتح الباب

نائب مدير هيئة التحرير: الأستاذ المساعد الدكتور/ سامي سمير عبد الفتاح عبد القوي

سكرتيرة المجلة: الأستاذة/ دينا فتحي حسين

محكمو أبحاث العدد (حسب الترتيب الأبجدي):

- الأستاذ المساعد الدكتور/ إبراهيم محمد أحمد البيومي
- الأستاذ الدكتور/ خالد حمدى عبد الكريم
- الأستاذ المشارك الدكتور/ خالد نبوي سليمان حجاج
- الأستاذ المساعد الدكتور/ سامي سمير عبد الفتاح عبد القوي
- الأستاذ المساعد الدكتور/ سمير سعيد حسين الحصرى
- الأستاذ المشارك الدكتور/ السيد سيد أحمد محمد نجم
- الأستاذ المشارك الدكتور/ صلاح عبد التواب سعداوي سيد
- الأستاذ المشارك الدكتور/ عبد الله رمضان خلف مرسي.
- الأستاذ المشارك الدكتور/ عبد الواسع إسحاق ناصر الدين.
- الأستاذ المشارك الدكتور/ المتولي علي الشحات بستان
- الأستاذ المشارك الدكتور/ محمد إبراهيم محمد الحلواني
- الأستاذ المشارك الدكتور/ محمد إبراهيم محمد بخيت
- الأستاذ المساعد الدكتور/ محمد أحمد عبد الحميد طايل
- الأستاذ المساعد الدكتور/ محمد السيد إبراهيم البساطي
- الأستاذ المشارك الدكتور/ محمد عبد الحميد الشرقاوي
- الأستاذ المشارك الدكتور/ محمد عبد الرحمن سلامة.
- الأستاذ المشارك الدكتور/ وليد علي محمد السيد الطنطاوي
- الأستاذ المشارك الدكتور/ ياسر عبد الحميد جاد الله النجار

Arrasikhun Journal، Volume 11، Issue 2، June 2025

ISSN: 2462-2508

الإيمان بربوبية الله تعالى وما ينقضه من الإلحاد والشرك

د. منال حمزة عبد الله بنونة

الأستاذ المشارك بقسم العقيدة في كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى

mhabanonah@uqu.edu.sa

الملخص

هذا البحث بعنوان: "الإيمان بربوبية الله تعالى وما ينقضه من الإلحاد والشرك". يوضح الفرق بين توحيد المؤمن لربه في ربوبيته وتوحيده في ألوهيته، ويبرز منزلة توحيد الربوبية، ويلفت الانتباه لأدلة وجود الله تعالى الفطرية، والحسية، والنقلية، والعقلية، ويحلل وينقد الإلحاد والشرك، ويرد على الشبهات الذي كثرت من خلال التطبيقات الاجتماعية، وبناء عليه كان البحث مكون من مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة؛ فالمقدمة: فيها أهمية البحث، وأهدافه، وخطته، ومنهجه، وأما الفصول؛ فالأول: عن الإيمان بتوحيد الربوبية، والثاني: أدلة وجود الله، والثالث: نواقض توحيد الربوبية. وتوصلت الباحثة إلى نتائج ختمت بها؛ من أهمها:

- الإيمان بتوحيد الربوبية هو ضمن الإيمان بالركن الأول من أركان الإيمان الستة، وكذلك هو ركن من أركان التوحيد الثلاثة، ولا يتم توحيد الإنسان إلا به، كما لا يكفي العبد في حصوله على الإسلام.
- الاستدلال على وجود الله بغير دليل الفطرة هو من باب تعدد الأدلة، والاستدلال على الخالق بخلق المخلوقات طريقة عقلية صحيحة، وهي شرعية دل القرآن عليها.
- لم ينكر وجود الله إلا القليل مقارنة مع من يثبت وجوده؛ فالذي أنكر وجوده إما ظاهرًا فقط، وإما معترف بوجود صانع، ولكنه يحيله إلى الطبيعة أو الدهر.
- المشركون يقرون بتوحيد الربوبية، ولم يُعرف طائفة تنكر أن الله هو الخالق إلا فيما ندر، ولم يعرف من قال بوجود ربين وإلهين متكافئين في الصفات والأفعال.

الكلمات المفتاحية: توحيد الربوبية- وجود الله- الفطرة- الإلحاد- الشرك.

Summary

This research is titled: "Belief in the Lordship of Allah and What Invalidates It from Atheism and Polytheism."

It explains the difference between a believer's monotheism in affirming Allah's Lordship and His Divinity. The study highlights the significance of Tawheed ar-Ruboobiyyah (Monotheism in Lordship)، draws attention to the innate، sensory، textual، and rational evidences for the existence of Allah، and provides a critical analysis and refutation of atheism and polytheism. It also addresses the misconceptions that have become widespread through social media platforms.

Accordingly، the research consists of an introduction، three main chapters، and a conclusion:

- **The introduction** covers the importance of the topic، its objectives، structure، and methodology.
- **Chapter One** discusses belief in the Oneness of Lordship.
- **Chapter Two** presents the evidences for the existence of Allah.
- **Chapter Three** focuses on the nullifiers of Tawheed ar-Ruboobiyyah.

The researcher concluded with several findings، the most important of which are:

- Belief in Tawheed ar-Ruboobiyyah is part of the first pillar of the six pillars of faith. It is also one of the three essential categories of monotheism. A person's Tawheed is not complete without it، and it is not sufficient on its own to enter Islam.
- Presenting evidence for the existence of Allah beyond the innate nature (fitrah) falls under the category of multiplicity of evidences. Deducing the Creator through the creation is a sound rational method supported by the Qur'an.
- Only a few have denied the existence of Allah when compared to the many who affirm it. Those who denied His existence did so either outwardly، out of arrogance، or while inwardly acknowledging a Creator but attributing that creation to nature or time.
- Polytheists generally acknowledge the Oneness of Lordship. Very few sects have denied that Allah is the Creator، and no known group has claimed the existence of two equal gods in attributes and actions.

Keywords: Tawheed ar-Ruboobiyyah – Existence of Allah – Fitrah (innate nature) – Atheism – Polytheism

المقدمة

إن الحمد لله نحمدهُ، ونستعينهُ، ونستغفِرهُ، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسنا، ومن سيئاتِ أعمالنا، من يهدهِ الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدهُ لا شريك له، وأشهدُ أن محمداً عبدهُ ورسولُه.

أما بعد: فإن أعظم مسائل العقيدة هي معرفة الله تعالى، وتوحيده بإخلاص العمل له؛ فلا يصح عمل الإنسان من صلاة، وصوم، وحج، ونذر، وذبح، واستغاثة، واستعانة وغيرها من الأعمال الشرعية، وهو على شك في وجود الله، أو كونه يشرك مع الله أحدًا في ربوبيته أو في ألوهيته أو في أسمائه وصفاته؛ ولتصح معرفته بالله، ويزيد إيمانه ويقينه به، لابد أن يفرق بين أنواع التوحيد الثلاثة، ويعرف الفرق بين أن يوحد ربه في ربوبيته أو يوحده في ألوهيته، وما يفسد هذا النوع من الإلحاد والشرك، ومن هنا جاءت أهمية هذا الموضوع الذي خصصته لدراسة توحيد الربوبية وبيان ما ينقض ويهدم هذا التوحيد، وعنونته بـــ: **(الإيمان بربوبية الله تعالى وما ينقضه من الإلحاد والشرك)**.

والفرد والمجتمع بحاجة ماسة لمثل هذه الموضوعات الدقيقة خاصة مع زيادة الفتن والشبهات المنتشرة اليوم عبر التطبيقات الإلكترونية وما فيها من الغزو الفكري، ومحاولات التغريب.

أهداف البحث:

1- بيان أنواع التوحيد الثلاثة، وتوضيح الفرق بين أن يوحد المؤمن ربه في ربوبيته أو يوحده في ألوهيته.

2- إبراز منزلة توحيد الربوبية من الدين الإسلامي.

3- لفت الانتباه لأدلة وجود الله الفطرية، والحسية، والنقلية، والعقلية.

4- دراسة ما يفسد هذا النوع على وجه الخصوص من الإلحاد والشرك.

5- الرد على شبهات الملحدين والمشركين في هذا الزمن الذي كثرت فيه الفتن والشبهات من خلال التطبيقات الاجتماعية ووسائل التواصل.

6- ذكر آثار الإيمان بالله أو الكفر به على الفرد والمجتمع.

7- زيادة اليقين والاطمئنان بالعمل على محو الشوائب من القلوب وتنقيتها بمعرفة كل ما يزيد الإيمان ويحارب الشرك والمشركين.

خطة البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة على النحو الآتي:

المقدمة: فيها أهمية البحث، وخطته، وأهدافه، ومنهجيته.

الفصل الأول: توحيد الربوبية.

- **أولًا:** معنى الإيمان بتوحيد الربوبية.
- **ثانيًا:** منزلة توحيد الربوبية.
- **ثالثًا:** الأصل في البشرية التوحيد.
- **رابعًا:** عدم الاكتفاء بتوحيد الربوبية في الإسلام.
- **خامسًا:** أساليب القرآن الكريم في تقرير توحيد الربوبية.

- **سادسًا:** منهج أهل السنة والجماعة في تقرير توحيد الربوبية ونقد الطرق المخالفة.
- **سابعًا:** أثر الإيمان بتوحيد الربوبية على الفرد والمجتمع.

الفصل الثاني: أدلة وجود الله وربوبيته.

- **أولًا:** الدليل الفطري، معناه، دلالته الشرعية، ودلالته على وجود الله، ومفسداته.
- **ثانيًا:** الدليل النقلي العقلي، ويشمل دليل الخلق والإيجاد، ودليل الإحكام والاتقان والعناية، ودليل التخصيص، ودليل التقدير والتسوية.
- **ثالثًا:** الدليل الحسي، معناه، وأمثلته، ودلالته على وجود الله، ودور العلم الحديث في إثبات وجود الله تعالى.

الفصل الثالث: نواقض توحيد الربوبية.

القسم الأول: (الإلحاد) إنكار وجود الله تعالى.

- **أولًا:** المنكرون لوجود الله قديمًا وحديثًا.
- **ثانيًا:** أسباب انتشار الإلحاد في العالم الغربي وأثره على العالم الشرقي وسبل مواجهته.

القسم الثاني: (الشرك) في الربوبية.

- **أولًا:** معنى الشرك في الربوبية.
- **ثانيًا:** صور الشرك.
- **الخاتمة:** فيها أبرز النتائج والتوصيات.

الدراسات السابقة:

توحيد الربوبية هو أحد أركان التوحيد الثلاثة في الدين الإسلامي، وقد أُلِّف فيه العديد من المؤلفات، بعضها يختص به مباشرة، وبعضها يتحدث عن التوحيد بعمومه ويُفصِّل في توحيد الربوبية ضمنه، ويوجد الكثير من المؤلفات والدراسات العلمية الحديثة التي تناولت توحيد الربوبية، وهذا البحث جاء لاختصار ما ورد في هذه المؤلفات- العلمية القيمة- بلغة سهلة مركزة وشاملة؛ ليسهل فهمه وتناوله ودراسته من قِبل طلبة العلم الشرعي وعامة الناس، وكذلك جمع البحث بين التأصيل العقدي الوارد في المؤلفات القديمة، والرد على الشبهات المعاصرة.

منهج وطريقة الدراسة:

منهج الدراسة استنباطي واستقرائي تحليلي؛ حيث تم استقراء الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تقرر وحدانية الله في ربوبيته، وفطرية هذا التوحيد، واستنباط وجه الدلالة منها، ومن ثم تم استقراء الواقع المعاصر، وتحليله ونقده على ما ورد في ضوء العقيدة الإسلامية الصحيحة؛ فتناولت في الفصل الأول دراسة أساليب القرآن الكريم في تقرير توحيد الربوبية، ومنهج أهل السنة والجماعة في تقريره، وأثر الإيمان بهذا التوحيد على الفرد والمجتمع ثم في الفصل الثاني عرضت الأدلة الفطرية والحسية والنقلية والعقلية على وجود الله، وفي الفصل الثالث ذكرت نواقض توحيد الربوبية من الإلحاد والشرك وحللتها في ضوء العقيدة الربانية الموحى بها من عند الله تعالى.

الفصل الأول: الإيمان بتوحيد الربوبية

أولًا: معنى الإيمان بتوحيد الربوبية.

تعريف توحيد الربوبية لغة:

الرَّبُّ هو المالك، والسيد، والمدبِّر، والمربي، والقيِّم، والمنعم.

والرَّبُّ في الأصل: التربية، وهو إنشاء الشيء حالًا

فحالًا إلى حدّ التمام، يقال رَبَّهُ، وربّاه ورَبَّبَهُ؛ فالرّبّ مصدر مستعار للفاعل، ولا يقال الرب مطلقًا إلا لله تعالى المتكفل بمصلحة الموجودات نحو قوله في كتابه الكريم: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾ ويطلق بالإضافة لله تعالى نحو قوله ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ ويطلق كذلك بالإضافة لغيره من المخلوقات كقولنا: رب الدار ورب الفرس (1).

تعريف توحيد الربوبية اصطلاحاً:

- هو افراد الله تعالى بالخلق، والملك، والتدبير.
- تعريف آخر: هو الإقرار الجازم بأن الله تعالى رب كل شيء ومليكه، وخالقه، ومدبره، والمتصرف فيه، لم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذل، ولا راد لأمره، ولا معقب لحكمه، ولا مضاد له، ولا مماثل له، ولا سمي له، ولا منازع في شيء من معاني ربوبيته، ومقتضيات أسمائه وصفاته (2).

ولتوحيد الربوبية مسميات أخرى، وهي: التوحيد العلمي، والتوحيد الخبري، والتوحيد الاعتقادي.

فهو إذًا توحيد المعرفة والإثبات، وفي هذا يقول ابن القيم- رحمه الله-:" التوحيد نوعان: نوع في العلم والاعتقاد، ونوع في الإرادة والقصد، ويسمى الأول: التوحيد العلمي، والثاني: التوحيد القصدي الإرادي. لتعلق الأول بالأخبار والمعرفة، والثاني بالقصد والإرادة" (3)، ويقول ابن أبي العز الحنفي:" التوحيد يتضمن ثلاثة أنواع: أحدها: الكلام في الصفات، والثاني: توحيد الربوبية، وبيان أن الله وحده خالق كل شيء، والثالث: توحيد الإلهية، وهو استحقاقه سبحانه وتعالى أن يعبد وحده لا شريك له" (4).

فالتوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام عند بعض العلماء كالتالي (5):

أولًا: توحيد الربوبية: هو إفراد الله تعالى بربوبيته للعالم؛ أي نعتقد انفراده بالخلق والملك والتدبير.

ثانيًا: توحيد الألوهية: وهو إفراد الله بالتأله، وهو التعبد: أي نعتقد أن الله وحده هو المستحق للعبادة، ونعتقد بطلان عبادة كل من سواه.

ثالثًا: توحيد الأسماء والصفات: وهو إفراد الله بما ثبت له من الأسماء والصفات؛ أي: نؤمن بكل ما

(1) انظر: المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق/ صفوان عدنان الداودي، دار القلم، بيروت، ط1، 1423هـ، ص 336.

(2) انظر: أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، لحافظ بن أحمد الحكمي، تحقيق/ حازم القاضي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط2، 1422هـ، ص 23.

(3) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي- بيروت، ط3، 1416هـ، ج 1، ص 33.

(4) شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، تحقيق: أحمد شاكر، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط1، 1418هـ، ص27.

(5) انظر: أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، إعداد/ نخبة من العلماء، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، 1421هـ، ص9،10.

أخبرنا الله به عن نفسه في الكتاب أو السنة نفيًا أو إثباتًا بدون تمثيل، فننفي عنه المكافئ والنظير.

وعند بعض العلماء نوعان:

فيقال: توحيد علمي، وتوحيد عملي.

التوحيد العلمي: هو توحيد المعرفة والإثبات، ويشمل توحيد الله تعالى في ربوبيته وأسمائه وصفاته، وإثبات ما جاء الخبر به عن الله تعالى في النصوص الشرعية.

والتوحيد العملي: هو توحيد الله تعالى في القصد والطلب، أي إفراده بالعبادة، وهذا توحيد الألوهية أو توحيد العبادة.

ثانيًا: منزلة توحيد الربوبية من الدين الإسلامي.

الإيمان بتوحيد الربوبية هو ضمن الإيمان بالركن الأول من أركان الإيمان الستة، وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وباليوم الآخر، وبالقدر خيره، وشره، ويتضمن أربعة أمور [1]: الإيمان بوجود الله تعالى، والإيمان بربوبيته: وهو الإقرار بأن الله تعالى خالق كل شيء، ومالكه، ورازقه، وأنه المحيي، المميت، النافع، الضار، المتفرد بإجابة الدعاء، الذي له الأمر كله، وبيده الخير كله، القادر على ما يشاء، المقدر لجميع الأمور، المتصرف فيها، المدبر لها، ليس له في ذلك كله شريك، والإيمان بألوهيته سبحانه، والإيمان بأسمائه الحسنى وصفاته العليا، والإيمان بتوحيد الربوبية يقوم على أصلين، وهي: الإيمان بوجوده، والإيمان بوحدانيته في ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه، وصفاته.

وتوحيد الربوبية ركن من أركان التوحيد، ولا يتم توحيد الإنسان إلا به، وهو يستلزم توحيد الألوهية أي أن الباب الذي دخل منه توحيد الألوهية هو توحيد الربوبية؛ فإذا أقر العبد بانفراد الرب تبارك وتعالى بالخلق والحكم، وشهد بذلك، فإن ذلك يقوده إلى تحقيق توحيد الألوهية، فإن الأمرين متلازمان؛ فمن أقر لله بالربوبية لزمه أن يقر له بالألوهية: "فإن أول ما يتعلق القلب يتعلق بتوحيد الربوبية، ثم يرتقي إلى توحيد الألوهية؛ فمن أثبت لله خصائص الربوبية من الخلق، والإحياء، والإماتة، والنفع، والضر، والإسعاد، والاشقاء استسلم لله تعالى في كل شيء، فيعلم أن ما أصابه فمن الله ولم يكن ليخطئه، وأنه إذا دخل الجنة فبتوفيق الله وفضله، وإذا دخل النار فبحكمته وعدله، وكل ذلك قدره الله تعالى، فإذا علم ذلك، لجأ إلى خالقه ليستعين به في جلب المنافع ودفع المضار، وليستهديه الصراط المستقيم، فيورث ذلك محبة عظيمة في قلب العبد لربه تعالى، فيقدم محاب ربه على كل شيء، ويورثه ذلك الخوف من الله وتعظيمه وتوقيره؛ فهذه علامة توحيد الألوهية في هذا القلب [2]، وقد سيقت آيات الربوبية برهانًا على توحيد الألوهية في كتاب الله، فيذكر القرآن الكريم الآيات والدلائل الشاهدة بربوبيته تعالى

(1) انظر: شرح الأصول الثلاثة، للإمام محمد بن عبد الوهاب- رحمه الله-، للشيخ/ عبد الرحمن بن ناصر البراك، سلسة منشورات مؤسسة شبكة نور الإسلام، أعد أصله: اللجنة العلمية بشبكة نور الإسلام، وراجعه وقرأه على المؤلف الشيخ: عبد الرحمن بن صالح السديس، ص30.

(2) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن قيم الجوزية، ج1، ص 413 بتصرفٍ.

لكل شـــيء، ثم ينتقل منها إلى الدعوة لعبادته وحده لا شـــريـك لـه [1]، ومثـالـه قولـه تعـالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢ ﴾[2] .

ثالثًا: عدم الاكتفاء بتوحيد الربوبية في الإسلام.

توحيد الربوبية هو أحد أنواع التوحيد الثلاثة؛ ولذا فإنه لا يصـــح إيمان أحد، ولا يتحقق توحيده إلا إذا وحد الله في ربوبيته، لكن هذا النوع من التوحيد ليس هو الغاية من بعثة الرســـل- عليهم الســـلام-، ولا ينجي وحده من عذاب الله ما لم يأت العبد بلازمه وهو توحيد الألوهية، والإقرار بالربوبية لله تعالى معرفة فطرية في قلوب بني آدم إلا أن أكثر الناس الذين وقعوا في الشـــرك إنما وقعوا فيه لإتيانهم بما يناقض توحيد الألوهية، لذلك جاءتهم الرســـل بالدعوة إلى توحيد الألوهية؛ فإذا أقر الإنســـان لله بالربوبية ولم يوحده في عبوديته ما نفعه إقراره هذا [3]؛ لذلك يقول الله تعالى ﴿ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ١٠٦ ﴾[4]، وقد كان المشـــركون زمن النبي ﷺ مقرين بالله ربًا خالقًا رازقًا مدبرًا، وكان شركهم به من جهة العبادة حيث اتخذوا الأنداد والشركاء، يدعونهم، ويستغيثون بهم، وينزلون بهم حاجاتهم وطلباتهم، وقد دل القرآن الكريم في مواطن عديدة منه على إقرار المشركين بربوبية الله مع إشراكهم به في العبادة.

فالخلاصـــة: أن توحيد الربوبية لا يكفي العبد في حصول الإسلام، بل لا بد أن يأتي مع ذلك بلازمه من توحيد الألوهية؛ لأن الله تعالى ذكر عن المشركين في كتابه الكريم أنهم مقرون بهذا التوحيد، ومع هذا الإقرار لم يكونوا بذلك مسلمين، وبعضهم كان يؤمن بالبعث والحساب وبعضهم يؤمن بالقدر، ومع هذا سُفكت دمائهم وسُبي نسائهم، وأُبيحت أموالهم؛ بسبب إشراكهم في توحيد العبادة الذي هو معنى لا إله إلا الله [5].

يقول ابن قيم الجوزية- رحمه الله-:"فما كان له سبحانه فهو متعلق بألوهيته وما كان به فهو متعلق بربوبيته وما تعلق بألوهيته أشـــرف مما تعلق بربوبيته ولذلك كان توحيد الألوهية هو المنجي من الشـــرك دون توحيد الربوبية بمجرده فإن عباد الأصـــنام كانوا مقرين بأن الله وحده خالق كل شـــيء وربه ومليكه ولكن لما لم يأتوا بتوحيد الألوهية وهو عبادته وحده

(1) انظر: دعوة التوحيد (أصـــولها- الأدوار التي مرت بها- مشـــاهير دعاتها)، لمحمد خليل هراس، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1406هـــ_1986م، ص 29-31.

(2) سورة البقرة، آية: 21،22.

(3) انظر: منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى، لخالد بن عبد اللطيف بن محمد نور، مكتبة الغرباء الأثرية، ط1، 1416هـ_1995م، ج1، ص 242 بتصرفٍ.

(4) سورة يوسف، آية:106.

(5) انظر: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، لسليمان بن عبد الله بن محمد آل الشيخ، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي- بيروت، ط1، 1423هـ-2002م، ص18.

لا شريك له لم ينفعهم توحيد ربوبيته [1].

رابعًا: الأصل في البشرية التوحيد.

الأصل في البشرية التوحيد، أما الشرك بالله تعالى، والتفرق، والاختلاف طارئ؛ يقول عبد الله بن عباس- رضي الله عنهما-:"كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين" [2]؛ فالأصل في البشرية هو الاجتماع على التوحيد، وما وقع الشرك إلا وقارنه الافتراق في الأمة؛ فأرسل الله الأنبياء والرسل رحمة منه بالناس وإعذارًا لهم.

خامسًا: أساليب القرآن الكريم في تقرير توحيد الربوبية.

الأسلوب الأول: استثارة الفطرة المقرة بوجود الله.

لم تكن مسألة إثبات وجود الله تعالى هدفًا أساسيًا من الأهداف التي يدعو إليها القرآن الكريم، وذلك لأن الإقرار بوجود الله أمر فطري فطر الله عليه الخلق، والله سبحانه أبين وأظهر من أن يُجهل فيطلب الدليل على وجوده؛ فالقرآن الكريم فقط يستثير الفطرة المقرة بوجود الله تعالى، وحفل بالأدلة العظيمة، والآيات الباهرة الدالة على وجوده، وعظمته سبحانه، فكل ما في هذا الوجود من خلق وعناية بهذا الكون، وتسييره بحكمة على أكمل نظام، هو دلالة صادقة على وجود الله تعالى المدبر لهذا الكون، وأدلته العظيمة ما زالت سببًا كبيرًا في دخول الناس أفواجًا في هذا الدين؛ وذلك لأن الأدلة على وجوده، وعظمته تعزز مكنون الفطرة، وتزيدها يقينًا واستقامة عند أصحاب الفطر السليمة، وتنبه الفطرة وتوقظها من انحرافاتها عند أصحاب الفطر الفاسدة التي تعرضت فطرهم لأحوال من الشرك والكفر والنفاق؛ إذًا فالاستدلال على وجود الله تعالى في القرآن الكريم لم يكن مقصودًا أصالة، وإنما يمكن أن يستنتج ذلك استنتاجًا [3].

الأسلوب الثاني: الإلزام والرد على من انحرفت فطرهم.

المثال الأول: قوله تعالى ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [4].

فهذه الآية ترد على من أنكروا وجود الخالق تبارك وتعالى، وتدل على توحيد الربوبية عن طريق إثبات **(استحالة صدور الوجود من عدم)** [5]، فإما أن يكونوا خلقوا أنفسهم وهذا باطل؛ لأنه يلزم منه

(1) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: إسماعيل بن غازي مرحبا، دار عطاءات العلم- الرياض، ط4، 1440هـ_2019م، ج1، ص80.

(2) رواه الطبري في تفسيره، ج4، ص275.

(3) انظر: مجموع الفتاوى للشيخ/ أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، 1425هـ_2004م، ج6، ص 73، ومنهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى، لخالد بن عبد اللطيف،ج1، ص 276.

(4) سورة الطور، آية:35.

(5) انظر: مجموع الفتاوى للشيخ/ أحمد بن تيمية، ج8، ص 245، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير الدمشقي، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، ج4، ص377.

الدور وهو باطل حيث يترتب كل من الفرضين على الآخر؛ فكونهم خلقوا أنفسهم يستلزم وجودهم قبل الخلق إذ لا يصدر الوجود من العدم ضرورة، وإما يكونوا لا خالق لهم أصلاً فيكون العدم هو الذي أوجدهم وهذا باطل إذ لا معنى للعدم إلا عدم الوجود، وإما أن يكون لهم خالق هو الله سبحانه وتعالى؛ وهذا هو الصحيح الذي يقر به النقل والعقل.

والمثال الثاني: قوله تعالى في كتابه الكريم على من أنكروا البعث: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾[1].

أي ليس لهم علم يقين يدل على صحة قولهم، سواء كان هذا العلم خبرًا، أو كان حجة وبرهانًا عقليًا، ثم بيَّن الله أنهم في اعتقادهم الذي نطقوا به بألسنتهم شاكون ومرتابون، وهذا أمر واضح لاتباعهم الظن[2].

الأسلوب الثالث: ذكر الآيات الدالة على الربوبية.

كقدرته على الخلق والإحكام والإتقان كما في قوله تعالى ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾[3].

أي فلينظر الإنسان إلى آثار قدرة الله فيه منذ أن كان نطفة في رحم أمه، ثم تنقُّله من طور إلى آخر إلى خروجه إلى الدنيا وله من الأعضاء والحواس مما يظهر آثار الإحكام الإلهي، وهكذا إذا نظر الإنسان في أمر هذا العالم وما فيه من السير الدقيق المنظم البديع، فإنه يحصل له العلم بأن له خالقًا خلقه بعلم وحكمة، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾﴾[4]، ويستدل على ربوبيته بما في العالم من التغير المانع من قدمه إذ التغير علامة الحدوث والخلق فلابد إذًا له من خالق ويدل عليه قوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۚ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾﴾[6].

فالكون **ممكن الوجود** وما كان كذلك فهو **مخلوق** لا يمكن أن يكون **واجب الوجود**؛ لأن إمكان العدم عليه والوجود ينفي وجوبه، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾﴾[7]، ومن الأدلة أن الكون وُجد على سبيل الإتقان مما يمنع كونه وجِد من غير مُوجد قوله تعالى ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ

(1) سورة الجاثية، آية: 24.

(2) انظر: تفسير الطبري، ج22، ص80.

(3) سورة الذاريات، آية: 20،21.

(4) سورة إبراهيم، آية:32،33.

(5) سورة فاطر، آية: 11.

(6) سورة النور، آية: 43-44.

(7) سورة إبراهيم، آية: 19.

﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤﴾[1].

وعندما ظهرت الجهمية ومن تابعهم من فرق الابتداع استحدثوا طريقة الاستدلال بحدوث الحوادث على محدث مُوجد لها، وقد اعتبر الشيخ ابن تيمية- رحمه الله- هذه الطريقة جزء من الطريقة القرآنية فقال: "هذه الطريقة جزء من الطريقة المذكورة، وهي التي جاءت بها الرسل، وكان عليها سلف الأمة وأئمتها، وجماهير العقلاء من الأولين؛ فإن الله يذكر في آياته ما يحدثه في العالم من السحاب، والمطر، والنبات، والحيوان، وغير ذلك من الحوادث، ويذكر في آياته خلق السماوات والأرض، واختلاف الليل والنهار، ونحو ذلك" [2].

الأسلوب الرابع: إبطال الشرك في الربوبية.

كما في قوله تعالى ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ﴾[3]، وصورة الدليل في الآية هو: (إن الإله الحق لا بد أن يكون خالقًا فاعلًا يوصل إلى عابده النفع ويدفع عنه الضر، فلو كان معه سبحانه إله آخر يشركه في ملكه لكان له خلق وفعل وحينئذ فلا يرضى تلك الشركة بل إن قدر على قهر ذلك الشريك والتفرد بالملك والألوهية دونه فعل، وإن لم يقدر على ذلك انفرد بخلقه وذهب بذلك الخلق كما ينفرد ملوك الدنيا بعضهم عن بعض بملكه، وإذا لم يقدر المنفرد منهم على قهر الآخر والعلو عليه فلابد من أحد ثلاثة أمور[4]: إما أن يذهب كل إله بخلقه وسلطانه، وهذا غير ممكن إذ لابد أن تظهر أثار فعله في الكون ! ولم يحدث هذا في الكون ! وإما أن يعلو بعضهم على بعض، وهذا ممتنع؛ لأنه يلزم اختلال الكون نتيجة العلو والتضارب، وهذا لم يحدث ولم يظهر في الكون، وإما أن يكونوا تحت قهر ملك واحد يتصرف فيهم كيف يشاء، وهذا هو الحق وهو كون الرب هو الإله الواحد، وانتظام أمر العالم كله، وإحكام أمره فيه دليل على أن مدبره إله واحد، وملك واحد، ورب واحد، لا إله للخلق غيره، ولا رب لهم سواه.

سادسًا: منهج أهل السنة والجماعة في تقرير توحيد الربوبية ونقد الطرق المخالفة.

لا خلاف بين السلف والخلف في أن الإقرار بوجود الله تعالى أصل سابق لكل العقائد، وإنما الخلاف بينهم في طريق حصوله، ومذهب السلف أن معرفة

(1) سورة الملك، آية: 3-4.

(2) انظر: درء تعارض العقل والنقل، لأبي العباس، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، تحقيق/ محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط2، 1411هـ_1991م، ج3، ص83.

(3) سورة المؤمنون، آية: 19.

(4) انظر: منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، لأبي العباس، أحمد بن عبد الحليم الحراني الدمشقي، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- المملكة العربية السعودية، ط1، 1406هـ_1986م، ج3، ص 304-311.

الله تعالى فطرية ضرورية، لا تتوقف على نظر واستدلال إلا عند فساد الفطرة، ولكن النظر والاستدلال لا بد أن يكون بالطرق الشرعية، وليست بالطرق البدعية. والسلف في قولهم بفطرية معرفة الخالق لا ينكرون الاستدلال على وجود الله تعالى بإطلاق؛ فهم يعلمون أكثر من غيرهم قدر ما في القرآن من ذلك [1].

ومراد السلف بفطرية معرفة الخالق: هي المعرفة الإجمالية.

أما التفصيلية لا سبيل لمعرفتها إلا من جهة الوحي.

وخالفهم الخلف كالمعتزلة والأشاعرة وغيرهم في هذا الأصل؛ فقالوا: إن معرفة الخالق نظرية، وأوجبوا بذلك النظر على عامة المكلفين، ورتبوا على ترك ذلك حكمين: الكفر والفسق.

فأول ما يجب على المكلف عند السلف هو **(شهادة التوحيد)** ومن فعل ذلك قبل البلوغ لم يجبر على فعل ذلك بعد البلوغ؛ فأول واجب على المكلف عندهم هو **(شهادة ان لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله)** وهي أول واجب على المسلم وآخر واجب. أما الطوائف المخالفة لأهل السنة والجماعة من الخلف كالمعتزلة والأشاعرة وغيرهم ترى أن أول واجب على المكلف هو إثبات وجود الله بـ **(النظر أو القصد إلى النظر أو الشك)** على اختلاف فيما بينهم على ما هو أول واجب على المكلف هل هو النظر أو القصد إلى النظر أو الشك حتى يصل إلى اليقين، وهذه من المقدمات العقلية التي لم يفرضها الله على عباده؛ فمثلاً: يشك أولاً في كل شيء، ثم ينتقل إلى النظر، والنظر يقوده إلى اليقين وإثبات وجود الخالق، والشك في الثوابت والأمور الواضحات هو من أخطر الأمور التي تقود إلى الإلحاد، وتخرج بالعقل عن نطاقه المحدود الذي خلقه الله عليه، وتجعل الإنسان يتخبط في قلق، وصراع نفسي، وحيرة شديدة؛ فمن أصعب ما يكون هو إيضاح الواضحات ! وهل الذي يخرج من اليقين يضمن أن يعود إليه ! ولأن الفلاسفة وبعض المتكلمين من المعتزلة والأشاعرة وغيرهم هم على مذاهب باطلة؛ لذلك يضطرون لوضع هذه القواعد ليصلوا بها إلى الحقيقة. لكن من هو على المنهج الصحيح الواجب عليه أن يحمد الله على النعمة، ويتمسك بالحق ويعض عليه بالنواجذ؛ فلو كان الله يعلم أن عقولنا تكفي للوصول إلى اليقين لما أرسل الرسل، وأنزل الكتب؛ فالعقل قاصر، وله حدوده، واستعماله في غير قدرته من الجهل والضلال، ولا نجد في النصوص الشرعية ما يأمر بهذه المقدمات العقلية حتى يدخل الإنسان في الإسلام، ولم يقول به أحد من أهل العلم والفضل، ولكن المعتزلة والأشاعرة اخذوها من الفلاسفة، فقالوا: إن المولود يولد خاليًا من المعارف، ثم يقلد والديه، والمقلد إيمانه لا يصح؛ لأنه تلقى إسلامه تقليدًا، ولو شُكك لشك، ولو أُستريب

(1) انظر: الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد، لسعود بن عبد العزيز العريفي، دار عالم الفوائد– المملكة العربية السعودية، ط1، 1419هـ، ص 191-197.

لاستراب؛ لذلك فرضوا على عقولهم هذه المقدمات التي هي في غاية التعقيد، وبناءً عليها لن يدخل في الإسلام إلا شرذمة قليلون؛ لأن عامة الناس لا يفهمون لها؛ فالإيمان بالخالق فطري في الإنسان، وليس تقليدًا، ويدعمه المشاهدة، والحس، والوحي، والعقل، وليس فقط التقليد، بل التقليد هو آخر الطرق.

والعلماء الذين جربوا هذه الطرق والمقدمات العقلية كالغزالي، والجويني، والشهرستاني تألموا غاية الألم، وعبر أحدهم عن ألمه بقوله: "يا ليتنا نموت بإيمان العجائز"؛ لأن العجائز على الفطرة، والغزالي صرح بأنه فقد إيمانه لمدة أشهر؛ لأنه يريد إثبات وجود الله عن طريق هذه المقدمات العقلية؛ فلما جاء يُحصل إيمان العقل استعصى عليه، وأصبح في حالة شك، ومرض؛ فلما علم أنه هالك تضرع إلى الله أن يقذف في قلبه الإيمان، وبهذا يثبت أننا لسنا بحاجة إلى النظر أو الشك؛ لأننا مؤمنون بالفطرة، والنصوص التي تأمرنا بدعوة الكفار والمرتدين إلى الشهادتين تثبت صحة هذا المنهج، ومن ذلك أن معاذًا- رضي الله عنه- قال بعثني رسول الله ﷺ؛ فقال: "إنك ستأتي قومًا من أهل الكتاب فادعُهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افْتَرَضَ عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب" [1].

فالذي يؤمر بالنظر والاستدلال هو الملحد الذي ينكر وجود الله، ولكن ليس بالنظر على طريقة المتكلمين المعقدة، بل على طريقة القرآن الكريم التي هي أقصر الطرق لمعرفة الله.

سابعًا: أثر الإيمان بربوبية الله على الفرد والمجتمع.

للإيمان بالربوبية آثار عظيمة، وثمرات كثيرة، تفوق الحصر والعد، وسأذكر بعضًا منها على التوالي [2]:

- يتوصل العبد عن طريق الإقرار بالربوبية إلى الإقرار بالألوهية فلا يصرف أي نوع من أنواع العبادات لغير الله تبارك وتعالى؛ فإذا أقر العبد بانفراد الرب تبارك وتعالى بالخلق والحكم، وشهد بذلك، فإن ذلك يقوده إلى تحقيق توحيد الألوهية، ولجأ إلى خالقه ليستعين به في جلب المنافع ودفع المضار، ويستهديه الصراط المستقيم، ويورثه كذلك الخوف من الله وتعظيمه وتوقيره.
- إذا أيقن المؤمن أن له ربًّا خالقًا، وأن هذا الرب هو رب كلِّ شيءٍ ومليكُه وهو مصرف الأمور، وأنه هو القاهر فوق عباده، وأنه لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات والأرض؛ أَنِسَت رُوحُه بالله، واطمأنت نفسه بذكره، ولم تزلزله الأعاصير والفتن، وتوجه إلى ربه بالدعاء، والالتجاء، والاستعاذة، وكان دائمًا خائفًا من تقصيره، وذنبه؛ لأنه يعلم قدرة ربه عليه، ووقوعه تحت قهره وسلطانه، فتحصل له بذلك

(1) رواه الإمام البخاري في صحيحه، رقم (1395)، والإمام مسلم في صحيحه، رقم (19).

(2) انظر: رسائل الشيخ الحمد في العقيدة، للشيخ/ محمد بن إبراهيم أحمد الحمد، 2010م، ج3، ص7.

التقوى.

- أن الإنسان إذا علم أن الله هو الرزاق، وآمن بذلك، وأيقن أن الله بيده خزائن السماوات والأرض، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع؛ قطع الطمع من المخلوقين، واستغنى عما بأيديهم، وانبعث إلى إفراد الله بالدعاء والإرادة والقصد، ولجأ إليه في السراء والضراء.

- أن الإنسان إذا علم أن الله هو المحيي المميت، النافع الضار، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن أمره كلَّه بيد الله؛ انبعث إلى الإقدام والشجاعة غير هياب، وتحرر من رق المخلوقين، ولم يعد في قلبه خوف من سوى الله تعالى، ومراقبته في الأمور كلها.

- يرضى بالقضاء والقدر؛ لأنه يؤمن بأن كل شيء بقدر، ويستشعر معية الله له في كل مكان، وعلمه بحاله، مما يثمر التوكل على الله، وتفويض الأمور إليه، مع اتخاذ الأسباب المشروعة.

- الصبر على المصائب والنكبات، مع ذكر الله على الدوام، وتسبيحه، وتحميده، وشكره على النعم الكثيرة، والثقة بالله وحسن الظن به، ومحبته وتعظيمه والثناء عليه، والخضوع والذل له وحده فقط؛ فلا يذل ولا يخضع لأحد من المخلوقات.

الفصل الثاني: أدلة وجود الله تبارك تعالى

الدليل الأول: الدليل الفطري.

أولًا: معنى الفطرة في اللغة والاصطلاح:

- **في اللغة:** هي الخلقة التي يكون الإنسان عليها في أول ابتدائه، وظهوره، وبروزه للحياة [1].

- **وفي الاصطلاح:** الإسلام.

فأكثر السلف على أن المراد بالفطرة الإسلام؛ فهي الطبع السوي، والجبلة المستقيمة التي خُلق الناس عليها، وهي القوة العلمية، والقوة الإرادية التي زود الإنسان بها؛ فيعلم الخير ويريده، ويعلم الشر ويبغضه، والمراد بالمعرفة الفطرية أنَّ كلَّ أحدٍ لو تُرك مِن وَقتِ ولادَتِه وما يؤدِّيه إليه نَظَرُه، لأدَّاه إلى الدِّينِ الحقِّ، وهو التَّوحيدُ [2]، ومن المعلومات المفروضة على الذهن فرضًا، وخلق الإنسان عليها أن الجزء أصغر من الكل، أو الحادث لا بد له من مُحدث.

ثانيًا: دلالته الشرعية.

قال الله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [3]، وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال النبي ﷺ: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها جدعاء" [4]. البهيمة تولد سليمة

(1) معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكريا الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ_1979م، ج4، ص510.

(2) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، رئاسة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ج3، ص 248، وج10، ص339.

(3) سورة الروم، آية: 30.

(4) رواه الإمام البخاري في صحيحه، رقم (1385)، ورواه الإمام مسلم في صحيحه، رقم (2658).

ويجدعها ويغيرها الناس، والمولود يولد سليم الفطرة، ومفطور على الإقرار بالخالق ثم يفسده أبواه؛ فهي قابلة للتغير والانحراف، وبهذا يتحقق ما قدره الله وقضاه من اختبار الإنسان وامتحانه بالخير والشر.

ثالثًا: دلالته على وجود الله.

فإن كل مخلوق قد فطر على الايمان بالخالق، ولا يمكن أن تتغير هذه الفطرة إلا إن طرأ على القلب ما يغيرها، يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾[1]، وكل إنسان بفطرته يميل إلى اللجوء إلى رب يعتقد فيه القوة الخارقة والسيطرة الكاملة عليه وعلى المخلوقات من حوله، وهذا الاعتقاد يحقق له الميل الفطري للتدين، ويشبع نزعته تلك؛ فالإنسان مفطور على حاجته للتدين؛ فإن لم يتدين لله، فهو يتدين ويُعبّد نفسه لأي معبود آخر ليشبع في ذلك نهمته إلى التدين، وذلك كمن استبد به الجوع فإنه إذا لم يجد الطعام الطيب الذي يناسبه فإنه يتناول كل ما يمكن أكله، ولو كان خبيثًا ليسد جوعته [2].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–:"وفي قلوب بني آدم محبة وإرادة لما يتألهونه، ويعبدونه، وذلك هو قوام قلوبهم، وصلاح نفوسهم، كما أن فيهم محبة وإرادة لما يطعمونه، وينكحونه؛ وبذلك تصلح حياتهم ويدوم شملهم. وحاجتهم إلى التأله أعظم من حاجتهم إلى الغذاء؛ فإن الغذاء إذا فقد يفسد الجسم، وبفقد التأله تفسد النفس، ولن يصلحهم إلا تأله الله وعبادته وحده لا شريك له، وهي الفطرة التي فطروا عليها" [3].

رابعًا: مفسدات الفطرة.

وكذلك الفطرة تدعو إلى الاتجاه إلى الخالق، لكن الإنسان تحيط به مفسدات كثيرة تجعله ينحرف حينما يتجه إلى المعبود الحق، ومن هذه المفسدات[4]: **الشياطين، والغفلة، البيئة المحيطة المتمثلة فيما قد يغرسه الآباء في نفوس الأبناء، وما قد يُلقيه الكتاب، والمعلمون، والباحثون في أفكار الناشئة.**

فلو ترك الإنسان ذاته بدون معلم أو مربي؛ فإنه يشعر في أعماق نفسه، وبما أودعه الله في خلقته بأن لهذا الكون خالقاً خلقه، ومكونا كونه، ومبدعاً أبدعه، ومدبراً دبره، هذا الشعور نابع من فطرته وذاته وليس مما تعلمهُ، من والديه وأهله، يولد معه، وينمو معه، ويبقى معه، لا يتغير بتغير الظروف ولا يمكن انتزاعه من نفسه إلا أن يشاء الله؛ لأنه جزء لا يتجزأ من النفس البشرية [5].

(1) سورة العنكبوت، آية:61.

(2) انظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، للدكتور/ سعود الخلف، أضواء السلف، الرياض، ط1، 1422هـ، ص 30،31.

(3) قاعدة في المحبة، لابي العباس، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الدمشقي، تحقيق: محمد رشاد سالم، مكتبة التراث الإسلامي– القاهرة، ص44.

(4) انظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، للدكتور/ سعود الخلف، ص 29،30.

(5) انظر: جامع الأدلة على وجود الله ونقد شبهات الملاحدة، للدكتور/ ربيع أحمد السلفي، موقع الألوكة منشور بتاريخ 2011/3/23م على الرابط التالي: جامع الأدلة على وجود الله مع نقد شبهات الملاحدة حولها سلسلة متجددة(alukah.net) .

خامسًـــا: أربعة أمور مهمة في الفطرة تدلُ على وجود الخالق [1]**، وهي كما يلي:**

أولاً: وجود العبودية والتدين في جميع العصور.

لاحظ العلمـاء أن جميع الأمم اتخـذت معبودات تتجه إليها وتقدَّسها، ولا يوجد على الإطلاق في أي عصـر من العصـور، ولا في أي أمة من الأمم مجتمع بلا دين ولا بلا إلـه معبود، حقـاً كـان أو باطلاً؛ فهناك اتجاه فطري على أن يكون هناك دين، وإله معبود؛ فالشـعور الفطري بوجود خالق مدبر لهذا الكون شـعور مشـترك بين جميع الناس مغروس في النفوس.

ثانياً: اللجوء إلى الله عند الشدائد.

الإنسـان إذا وقع في محنة شـديدة لا يبقى في ظنه رجاء المعاونة من أحد، فهو بأصل خلقته يتضرع إلى من يخلصه منها، وما ذاك إلا شهادة الفطرة بالافتقار إلى الصـانع المدبر؛ ففي الشـدة تبدو فطرة الناس جميعاً كما هي في أصـلها الذي خلقها الله عليه، وعندما تمرُ المحنة وتأتي العافية والنعمة يعودوا إلى مخالفة فطرتهم من جديد.

ثالثاً: التساؤلات الفطرية عن الوجود.

هناك أسـئلة تدور في ذهن الإنسـان، وتُلح على الإنسـان في داخله لا يسـتطيع دفعها عن أصـل الوجود ونهايته وسببه وعن الموت وأسراره وعن الروح وأسـرارها مما يدل على وجود فطرة كافية في النفوس تُبرز هذه الأسئلة عن الإله والوجود، ولا يجيب عليها إلا العقيدة الإسـلامية الصـافية الصـحيحة، وشـقي الإنسان فظن أنه يستطيع أن يستقل بالتدبير فوضع مذاهب باطلة ونحلاً مضـلة من ذلك العلمانية، والماسونية، والشيوعية، وغيرها.

رابعاً: احتياج النفس إلى قوة مدبرة.

لا ريب أن كل إنسـان يشـعر في قرارة نفسـه بافتقار وحاجة إلى إله قادر مدبر، يرفع إليه حاجاته، ويسند إليه أموره، وهذا الشـعور نشـأ عن النقص والعجز الذاتي في أنفسـنا، والعاجز يفتقر أبداً إلى من يعينه، والناقص دائماً يحتاج إلى من يكمله، والاسـتدلال على وجود الله بغير دليل الفطرة المغروسـة في النفس البشـرية هو من باب تعدد الأدلة التي تزيد في التصديق، واليقين، والمعرفة ليس إلا.

الدليل الثاني: الأدلة النقلية العقلية على وجود الله

وهي أدلـة كثيرة، وسـأذكر منهـا: دليـل الخلق، والإيجاد، والإحكام، والإتقان، والعناية، والتخصيص، والتقدير، والتسوية.

أولًا: دليل الخلق والإيجاد.

وهو عبارة عن الاسـتدلال بوجود كل مخلوق من مخلوقات الله تعالى على وجود الله؛ فكل شيء مخلوق يدل على وجود الخالق.

والآيات الدالة على قدرة الله في الخلق والإيجاد كثيرة جدًا في كتاب الله، ومنها قوله سبحانه:

- ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾ [2].

- ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً

(1) انظر للاستزادة المصدر السابق.

(2) سورة النور، آية: 45.

﴿وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨﴾[1].

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ٧٣﴾[2].

ودلالته على وجود الله بأن نقول: العالم مخلوق وعلمنا ذلك بالمشاهدة، ولابد له من خالق وعلمنا ذلك بالضرورة العقلية. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله-:"نفس حدوث الحيوان، والنبات، والمعدن، والمطر، والسحاب، ونحو ذلك معلوم بالضرورة؛ بل مشهود لا يحتاج إلى دليل، وإنما يعلم بالدليل مالم يعلم بالحس وبالضرورة؛ بل مشهود لا يحتاج إلى دليل، وإنما يعلم بالدليل مالم يعلم بالحس وبالضرورة، فالعلم بحدوث هذه المحدثات علم ضروري لا يحتاج إلى دليل"[3].

فالعلم بأن (**المحدَث**) لا بد له من (**مُحدث**) علم فطري ضروري، فمعلوم بالفطرة التي فطر الله عليها الناس، وبصريح العقل أن الحادث لا يحدث إلا بمحدث أحدثه وفق مبدأ السببية القائم على ضرورة أن يكون لكل حادث سبب، واستحالة وجودها من غير سبب، أو أن توجد نفسها بنفسها؛ فأدل شيء على وجود (**الخالق**) هو وجود (**المخلوق**)، لأن هذه المخلوقات سابقها ولاحقها لا بد لها من (**مُوجِد**) أوجدها ويتصرف فيها، ومحال أن تُوجد نفسها.

يقول الله تعالى في سورة الطور: ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ٣٥ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ٣٦﴾[4]، ومعناه أخلقوا من غير شيء خلقهم فوجدوا بلا خالق وهذا مستحيل تنكره العقول إذ لا بد للمخلوق من خالق وللمصنوع من صانع؛ فإن أنكروا الخالق لم يجوز لهم أن يكونوا موجودين.

وقوله ﴿أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ٣٥﴾وذلك في البطلان أشد؛ لأنهم مسبوقون بعدم؛ فكيف يخلقون؟!

وقوله: ﴿أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ﴾وذلك في البطلان أشد وأشد فإن المسبوق بالعدم يستحيل أن يوجد نفسه فضلاً على أن يُوجد غيره ! ولم يدَّع أحد أنه خلق نفسه فضلاً عن خلقه للسموات والأرض، ولو ادَّعى مدع ذلك لاتهم بالجنون والهذيان.

فلم يبق إلا أن يكون لهذا الكون خالقًا وموجدًا، وهذا دليل غاية في القوة والبيان؛ لذلك عندما سمعه جبير بن مطعم- رضي الله عنه- قال: "كاد قلبي أن يطير"، وكانت هذه الآية من جملة ما حمله على الدخول في الإسلام.

فالعدم مستحيل بالضرورة العقلية أن يوجد غيره؛ لكونه غير موجود؛ فهو لا يستطيع إيجاد نفسه فضلًا عن غيره.

يقول ابن تيمية- رحمه الله-:"حدوث الحادث بلا مُحدث أحدثه معلوم البطلان بضرورة العقل، وهذا أمر مركوز في بني آدم؛ حتى الصبيان لو ضرب الصبي ضربة فقال: من ضربني؟ فقيل له ما ضربك أحد؛ لم

(1) سورة النحل، آية:8.

(2) سورة الحج، آية:73.

(3) درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية، ج7، ص219.

(4) سورة الطور، آية:35،36.

يصـــدق عقله أن الضـــربة حدثت من غير فاعل ! ولهذا لو جوَّز مجوِّز أن تحدث كتابة أو بناء أو غراس ونحو ذلك من غير مُحدث لذلك؛ لكان عند العقلاء أما مجنونًا، وإما مسـفسـطًا؛ كالمنكر للعلوم البديهية، والمعارف الضرورية"[1].

وكـذلـك مســـتحيـل أن تكون الطبيعـة هي التي أوجدت المخلوقات بفعل القوانين والسنن والأسباب؛ لأن المادة ميتة، وغير قادرة، وغير عاقلة، وليســـت أزلية؛ فكيف يصدر منها العاقل، الحي، المريد.

يقول ابن تيمية– رحمه الله–:" معلوم أن الشـــيء لا يوجد نفسه؛ فالممكن الذي ليس له من نفسه وجود ولا عدم، لا يكون موجودًا بنفسه، بل إن حصل ما يوجده وإلا كان معدومًا، وكل ما أمكن وجوده بدلًا عن عدمه، وعدمه بدلًا عن وجوده، فليس له من نفسه وجود ولا عدم وهذا بيّن"[2].

والفاعل الذي أوجد هذا الكون بعد أن لم يكن لا يجوز أن يكون من جنس المفعولات كلها؛ لأنه في حال كونه من جنس أي نوع من المفعولات سينطبق عليه جميع أحكام المفعولات، وأهمها أنها تقبل العدم، ووجدت بعد أن لم تكن، ومجرد احتمال قبول الفاعل للعدم يبطل كون هذا الفاعل خالقًا؛ لأن الخالق الـذي يقبـل العـدم مفعول محتـاج إلى من يوجـده، فيصـبح مفعولاً لا فاعلاً وعلى هذا لا يصـح القول بأن موجد الكون بعد أن لم يكن هو الطبيعة؛ لأن الطبيعة من جنس هذه الموجودات التي وجدت بعد أن لم تكن، والشـــيء لا يكون موجداً لنفســـه؛ لأن هذا يســـتلزم تقدمه على نفســـه وهو باطل بداهة.

يقول ابن تيميـة– رحمـه الله–:" معلوم أن المحـدَث الواحد لا يحدث إلا بمُحدث، فإذا كثرت الحوادث وتسـلسـلت كان احتياجها إلى المحدث أولى، وكلها محدثات فكلها محتاجة إلى مُحدث؛ وذلك لا يزول إلا بمُحدث لا يحتاج إلى غيره، بل هو قديم أزلي بنفســه سبحانه وتعالى"[3].

فالموجود إما قديم وإما محدث، والمحدث لابد له من قديم غير محدث ينتهي إليه، مخالف لجميع المخلوقات في وجوده؛ فوجوده لم يســبق بعدم، ولا يلحقه فناء، فهو الأول الذي ليس قبله شـــيء، وهو الآخر الذي ليس بعده شـــيء، وهو الظاهر الـذي ليس فوقه شـــيء، وهو الباطن الذي ليس دونه شـــيء، وهو مخالف لجميع المخلوقات في ذاته، وأسمائه، وصـفاته؛ فلاند ولا نظير له، وهذه صـــفات الله تعالى الذي خلقنا ورزقنا ودبر أمورنا.

وقـد ســـئـل أعرابي عن وجود الله فقـال بفطرتـه السـليمة: إن البعر تدل على البعير، والأثر يدلُ على

(1) الجواب الصـحيح لمن بدل دين المسـيح، لأبي العباس، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الدمشـقي، تحقيق: علي بن حسن، عبد العزيز بن إبراهيم، حمدان بن محمد، دار العاصمة، السعودية، ط2، 1419هـــ-1999م، ج3، ص203.

(2) شـرح العقيدة الأصـفهانية، لأبي العباس، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الدمشـقي، تحقيق: حسـين محمد مخلوف، دار الكتب الإسلامية، ج1، ص34.

(3) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ج16، ص445.

المسير؛ فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، ألا تدل على العزيز الخبير؟!

ويقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾[1].

فالذي حاج إبراهيم في ربه هو ملك بابل نمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح وهو من الذين ملكوا الدنيا من مشارقها إلى مغاربها، ويقول سبحانه ألم تر يا محمد الذي خاصم إبراهيم في ربه وأنكر أن يكون إله غيره وما حمله على هذا الطغيان والكفر والمعاندة الشديدة إلا تجبره وطول مدته في الملك، وذلك أنه مكث أربعمائة سنة في ملكه وطلب من إبراهيم- عليه السلام- دليلاً على وجود الرب الذي يدعو إليه فقال إبراهيم- عليه السلام- ربي الذي يحيي ويميت؛ فعند ذلك قال النمرود أنا أحيي وأميت، فكان يأتي بالرجلين قد استحقا القتل فيأمر بقتل أحدهما فيقتل، ويأمر بالعفو عن الآخر فلا يقتل، فذلك معنى الإحياء والإماتة عنده، فقال له إبراهيم- عليه السلام- فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب عندها خرس فلم يتكلم ! فإن كنت كما تزعم فافعل هذا فإن لم تفعله؛ فلست كما زعمت وأنت تعلم وكل أحد أنك لا تقدر على شيء من هذا، بل أنت أعجز وأقل وأذل من أن تخلق بعوضة أو تتصرف فيها؛ فبين ضلاله وجهله وكذبه فيم ادعاه وبطلان ما سلكه وتبجح به عند جهلة قومه ولم يبق له كلام يجيب الخليل- عليه الصلاة والسلام- به، بل انقطع وسكت [2]، ولهذا قال تعالى: ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾وقامت عليه الحجة بذلك.

فالاستدلال على الخالق بخلق الإنسان طريقة عقلية صحيحة، وهي شرعية دل القرآن عليها.

فمن آياته الدالة على قدرته العظيمة خلق السماوات والأرض، أي خلق السماوات في ارتفاعها، واتساعها، وخلق الأرض في انخفاضها، وكثافتها، وما فيها من جبال، وأودية، وبحار، وقفار، وحيوان، وأشجار، واختلاف الألسن؛ يعني اللغات، فهؤلاء بلغة العرب، وهؤلاء تتر لهم لغة أخرى، وهؤلاء روم، وهؤلاء إفرنج، وهؤلاء بربر، وهؤلاء حبشة، وهؤلاء هنود، وهؤلاء فرس، وهؤلاء صقالبة، وهؤلاء أرمن، وهؤلاء أكراد إلى غير ذلك مما لا يعلمه إلا الله- عز وجل- من اختلاف لغات بني آدم، واختلاف الألوان؛ أبيض، وأسود، وأحمر، وهم أولاد رجل واحد، وامرأة واحدة، واختلاف الصفات؛ فجميع أهل الأرض، بل أهل الدنيا منذ خلق الله آدم إلى قيام الساعة كل له عينان، وحاجبان، وأنف، وجبين، وفم، وخدان، وليس يشبه واحد منهم

(1) سورة البقرة، آية:258.

(2) انظر: معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، للحافظ بن أحمد بن علي الحكمي، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم- الدمام، ط1، 1410هـ-1990م، ج1، ص 107-108.

الآخر، بل لا بد أن يفارقه بشيء من السمت، أو الهيئة، أو الكلام، ظاهراً كان أو خفياً يظهر عند التأمل كل وجه منهم أسلوب بذاته، وهيئة لا تشبه أخرى، ولو توافق جماعة في صفة من جمال أو قبح لا بد من فارق بين كل واحد منهم وبين الآخر، ومن الآيات ما جعل الله من صفة النوم في الليل فإن فيه تحصل الراحة وسكون الحركة وذهاب الكلال والتعب وجعل الانتشار والسعي في الأسباب والأسفار في النهار وهذا ضد النوم، ومن آياته الدالة على عظمته أنه يرينا البرق خوفًا وطمعًا أي تارة نخاف مما يحدث بعده من أمطار مزعجة وصواعق متلفة وتارة نرجو وميضه وما يأتي بعده من المطر الذي نحتاج إليه، ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره، ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، ويمسك السماوات والأرض أن تزولا؛ فهي قائمة ثابتة بأمره لها وتسخيره إياها ثم إذا كان يوم القيامة بدلت الأرض غير الأرض والسموات وخرجت الأموات من قبورها أحياء بأمره تعالى ودعائه إياهم، والآيات في هذا الباب العظيم من الاستدلال بالمخلوقات على وجود خالقها وقدرته وعظمته أكثر من أن تحصى وأجل من أن تستقصي وفيما ذكرنا كفاية وغني يغني عن خرط المناطقة ومقدماتهم ونتائجهم وتناقضهم فيها والله تبارك وتعالى أعلى وأكبر وأجل وأعظم من أن يحتاج في معرفة وجوده إلى شواهد واستدلالات فذات المخلوق نفسه شاهدة بوجود خالقه حيث أوجده ولم يكن من قبل شيئًا فلمَ يذهب يستدل بغيره وفي نفسه الآية الكبرى والبرهان الأعظم [1]، ولم يزل علماء المسلمين يواجهون أسئلة عُتاة الملحدين وغيرهم؛ فيبهتونهم بدليل الخلق، ويمكن مراجعة ما ورد عن الأئمة في المصدر نفسه [2].

ثانيًا: دليل الإحكام والإتقان والعناية.

والمراد بدليل الإحكام والإتقان هو الاستدلال بما يظهر في كل مخلوق من مخلوقات الله من آثار الإحكام والإتقان وذلك عن طريق المشاهدة، والإدراك الحسي؛ على وجود مُحكم متقن، وهو الله سبحانه وتعالى؛ فلا يمكن أن يكون هذا الإحكام من غير سبب، وهذا هو المطلوب إثباته، وقد نبه الكتاب العزيز على دليل العناية بالإنسان، وخلق جميع الموجودات من أجله في كثير من آياته، وقد استدل كثير من علماء الإسلام بهذا الدليل؛ واعتبروه من أقوى الأدلة على وجود الله؛ لأنه دليل من الأدلة النقلية والعقلية.

ودليل العناية يهدم قول الملاحدة بالصدفة؛ وهو مبني على أصلين:

أحدهما: أن جميع المخلوقات موافقة لوجود الإنسان.

والثاني: أن هذه الموافقة دليل على وجود فاعل حكيم عليم قاصد لذلك مريد له؛ إذ ليس يُمكن أن تكون الموافقة مصادفة.

كذلك من تتبع معنى الحكمة لمعرفة السبب الذي من أجله خُلق، والغاية المقصودة به كان وقوفه على دليل العناية أتم؛ فدليل العناية دليل ينسف إمكانية أن تكون المخلوقات وجدت صدفة، إذ حتى إن

(1) انظر: المصدر السابق، ج1، ص104-106.

(2) انظر: المصدر السابق، ج1، ص110-111.

افترضـــنا أن الطبيعة اســـتطاعت أن تركب كائنات؛ فمن المســتحيل أن تعي احتياجاتها، فتجعل الظروف المحيطة بها موافقة لوجودها.

والآيات المتضـــمنة لدليل العناية كثيرة، منها قوله سبحانه:

- ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ۝١٤ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ۝١٦ ﴾[1].

- ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ۝٧١ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٧٢ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٧٣ ﴾[2].

فهذه الآيات تتحدث عن قدرة الله تعالى في الخلق، وبيان فضـــله على عباده، وعلمه الشـــامل يجب ألا نغفل عنها أبدًا؛ لأنه لا نشـــعر بها أحيانًا بســـبب اســـتمرارها معنا وإلفها -والله المســـتعان-؛ فالله سبحانه وتعالى هو الذي خلق كل ما في الأرض من خيرات، ومعادن، ونباتات، وحيوانات، وغير ذلك، ليكون نافعًا للناس، وليســـتعينوا بها في حياتهم، ولم يخلقها عبثًا ولا سُـــدىً، بل لحكم عظيمة، وجعل السماوات سبع طبقات مستويات متناسقات، وهو عليم بكل شيء، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، والأرض جعلها ممهدة للسكنى والعيش، والجبـال أوتادًا تثبَّـت الأرض مثلمـا تثبـت الأوتاد الخيمة، وجعل الجنس البشري من ذكرًا وأنثى، وجعل نومهم سباتًا راحة للجسد وانقطاع عن الحركة، والليل لباسًا يغطي الإنسان بظلمته وسكونه، والنهار معاشًا ووقت للعمل وكسب الرزق، وخلق السماوات السبع القوية المحكمة، وجعلها منازل للكواكب والنجوم، والشـــمس المتوهجة المضـــيئة تضـــيء وتبعث الحرارة، والقمر ينير بضـــيائه المنعكس من الشـــمس، والليل والنهـار يتعـاقبـان، يخلف أحـدهمـا الآخر، ومـاذا لو جعل الليل دائمًا؟ من غير الله يقدر أن يأتينا بالنهار؟ وماذا لو جعل النهار دائمًا؟ من غير الله يأتينا بالليل لنرتاح فيه؟ والســـحب التي تحمل مطرًا كثيرًا غزيرًا يتدفق بغزارة، وهو مصـدر الحياة في الأرض، وإنبات النبات بعد جفاف الأرض، وســببًا في بث الدواب، وتنوع الكائنات الحية، وانتشـارها، والفلك التي تجري في البحر وهي السفن التي تنقل الناس والبضائع هي آية في تســـخير الماء والرياح، وهذه الرياح هي التي تنقل الهواء، وتُســـهم في تلقيح النباتات، وتحريك السحب المسخر بين السماء والأرض الذي يتحرك بأمر الله محمّلًا بالماء، وهو وحده من يمســـك الكون بنظامه المتماسك المحكم، ولو شاء لاختل كل شيء، لكنه حليم لا يعجل بالعقوبة، وغفور يقبل التوبة لعباده إذا تابوا، وهو وحده الذي يمنع الســـماوات والأرض من الزوال والاختلال والانهيار، ولو فرضًـــا

(1) سورة النبأ، آية:6-16.

(2) سورة القصص، آية:71-73.

زالتا عن أماكنهما لا يستطيع أحد غير الله أن يعيدهما أو يمنعهما من الزوال، كل هذه الآيات وغيرها هي تذكير بعظمة خلق الله وتنظيمه للكون، وهي آيات لأولي الألباب الذين يتفكرون ويتعظون، ويشكرون الله على نعمه، وهي دعوة لأهل الألباب والعقول للتفكر والتعقل؛ فهذه الأدلة لا ينتفع بها إلا من يستخدم عقله وقلبه في التفكر والتدبر.

وقد ذكرت أوصافهم في القرآن الكريم هم الذين يذكرون الله في كل أحوالهم قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم، ويتفكرون في عظمة الخلق، مما يقودهم إلى الإيمان والتسليم، ويختمون تأملهم وتفكرهم بدعاء خاشع: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾ما خلقت هذا الكون العظيم عبثًا، ننزّهك عن العبث والباطل ويطلبون من الله النجاة من عذاب النار.

دليل العناية: ومعناه أن كل ما في الكون مسخر لخدمة الإنسان.

الكون بكل ما فيه من أجرام سماوية، ومخلوقات أرضية، مسخر لخدمة الإنسان، وقد كان الإنسان في السابق يعتبر مركز الكون ثم تغيرت هذه النظرة في العصر الحديث، وأصبح ينظر له على أنه موجودًا تافهًا في هذا الكون ثم جاءت الفيزياء الحديثة لتضع نظرة أكثر علمية ودقة.

يقول (أندرو) أحد أشهر علماء الطبيعة في أوائل القرن العشرين: "ففي علم وظائف الأعضاء تدل خياشيم الأسماك على أسبقية الماء، كما تدل أجنحة الطيور ورئات الإنسان على أسبقية الهواء، وتدل أعين الإنسان على أسبقية الضوء، كما يدل حب الاستطلاع العلمي على أسبقية الوقائع، وكما تدل الحياة على أسبقية القانون الطبيعي اللازم لنشأتها. وإنني أتساءل الآن: أفلا يدل التدبر العميق والتفكير الصافي والشجاعة العظمى والواجب الأعظم والإيمان الكبير والحب العميق أقول أفلا يدل كل أولئك على شيء سابق؟ من الحماقة أن نظن أن أعمق الأفكار والعواطف والأعمال التي نشاهدها في الإنسان لا تدل على شيء سابق. إنها تدل على أسبقية وجود عقل علوي. إنها تدل على وجود خالق يتجلى في خبرة أولئك الذين لا يضعون الحواجز في طريق عقولهم عند البحث عن العقل الأسمى أو الخالق الأعلى"[1].

ويشير (ستيفن) – أحد علماء القرن الواحد والعشرين– إلى أن الكون يتمدد بمعدل السرعة المناسبة تمامًا حتى تكون الحياة ممكنة؛ فخواص الكون ووجود الناس، كليهما، نتيجتان لتمدد الكون بمعدل السرعة المطلوبة تمامًا، وتوحد خواص الكون هو نتيجة مترتبة على وجود الناس في الكون [2].

وبين كذلك (جورج) أن الكون لو لم يكن بالصفات التي هو عليها الآن لما كانت هناك حياة في قوله:

(1) انظر: الله يتجلى في عصر العلم، لمجموعة من الباحثين الأمريكيين، إشراف/ جون كلوفرمونسيا، ترجمة/ الدمرداش عبد المجيد سرحان، بيروت، دار القلم، ص11-14.

(2) العلم من منظوره الجديد، لروبرت أغورس، وجورج ستانسيو، ترجمة الدكتور/ كمال خلايلي، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، 1989م، ص 61،62.

"الفضاء الشاسع الموجود في السماء هو شرط أساسي لوجودنا" (1).

والفيزيائي (فريمان دايسن) ينتهي إلى أن ذلك يدل على غاية مستهدفة، لا على الصدفة، قائلاً: "كلما ازددت دراسة للكون وفحصاً لتفاصيل هندسية وجدت مزيدًا من الأدلة على أن الكون كان يعرف بطريقة ما أننا قادمون" (2).

فأقوالهم هذه تُبطل قول الملاحدة من أن وجود المخلوقات على هذه الأرض هو من قبيل الصدفة؛ فخواص المادة متوافقة للحياة الإنسانية موافقة تدل على دقة التصميم والإبداع، بل إن حدوث أدنى زيادة أو نقصان قد يؤدي إلى نتائج وخيمة.

فمثلاً (3): لو أن الأرض كانت صغيرة كالقمر، أو حتى لو أن قطرها كان ربع قطرها الحالي لعجزت عن احتفاظها بالغلافين الجوي والمائي اللذين يحيطان بها، وصارت درجة الحرارة فيها بالغة حد الموت. أما لو كان قطر الأرض ضعف قطرها الحالي لتضاعفت مساحة سطحها أربعة أضعافًا وأصبحت جاذبيتها للأجسام ضعف ما هي عليه، وانخفض تبعًا لذلك ارتفاع غلافها الهوائي، وزاد الضغط الجوي من كيلو غرام واحد إلى كيلو غرامين، ويؤثر كل ذلك أبلغ الأثر في الحياة على سطح الأرض، فتتسع مساحة المناطق الباردة اتساعًا كبيرًا، وتنقص مساحة الأراضي الصالحة للسكنى نقصًا ذريعًا، وبذلك تعيش الجماعات الإنسانية منفصلة أو في أماكن متنائية، فتزداد العزلة بينها ويتعذر السفر والاتصال، بل قد يصير ضربًا من ضروب الخيال، ولو كانت الأرض في حجم الشمس مع احتفاظها بكثافتها لتضاعفت جاذبيتها للأجسام التي عليها 150 ضعفًا، ولنقص ارتفاع الغلاف الجوي إلى أربعة أميال، ولأصبح تبخر الماء مستحيلًا، ولأرتفع الضغط الجوي إلى ما يزيد على 150 كيلو غرامًا، ولوصل وزن الحيوان الذي يزن حاليًا رطلًا واحدًا إلى 150 رطلًا، وتضاءل حجم الإنسان حتى صار في حجم ابن عرس أو السنجاب؛ ولو ازيحت الأرض إلى ضعف بعدها الحالي عن الشمس، لنقصت كمية الحرارة التي تتلقاها من الشمس إلى ربع كميتها الحالية، وقطعت الأرض دورتها حول الشمس في وقت أطول، وتضاعفت تبعًا لذلك طول فصل الشتاء، وتجمدت الكائنات الحية على سطح الأرض، ولو نقصت المسافة بين الأرض والشمس إلى نصف ما هي عليها الآن لبلغت الحرارة التي تتلقاها الأرض أربعة أمثال، وتضاعفت سرعتها المدارية حول الشمس، ولآلت الفصول إلى نصف طولها الحالي، وصارت الحياة على سطح الأرض غير ممكنة، وعلى ذلك فإن الارض بحجمها وبعدها الحاليين عن الشمس وسرعتها في مدارها، تهيئ للإنسان أسباب الحياة والاستمتاع بها في صورها المادية والفكرية والروحية على النحو الذي نشاهده اليوم في حياتنا؛ فملائمة الأرض للحياة تتخذ صورًا عديدة لا يمكن تفسيرها على أساس المصادفة أو

(1) المرجع السابق، ص 63.

(2) المرجع السابق، ص 62،63.

(3) انظر: الله يتجلى في عصر العلم، لمجموعة من الباحثين الأمريكيين، ص11-14.

العشوائية؛ فالأرض كرة معلقة في الفضاء تدور حول نفسها، فيكون في ذلك تتابع الليل والنهار، وهي تسبح حول الشمس مرة في كل عام، فيكون في ذلك تتابع الفصول، الذي يؤدي بدوره إلى زيادة مساحة الجزيء الصالح للسكنى من سطح كوكبنا ويزيد من اختلاف الأنواع النباتية أكثر مما لو كانت الأرض ساكنة، ويحيط بالأرض غلاف غازي يشتمل على الغازات اللازمة للحياة ويمتد حولها إلى ارتفاع كبير (يزيد على 500 ميل) ويبلغ هذا الغلاف الغازي درجة تحول دون وصول ملايين الشهب القاتلة ميلًا إلينا، والغلاف الذي يحيط بالأرض يحفظ درجة حرارتها في الحدود المناسبة للحياة، ويحمل بخار الماء من المحيطات إلى مسافات بعيدة داخل القارات، حيث يمكن أن يتكاثف مطرًا يحيي الأرض بعد موتها، والمطر مصدر الماء العذب، ولولاه لأصبحت الأرض صحراء جرداء خالية من كل أثر للحياة، ومن هنا نرى أن الجو والمحيطات الموجودة على سطح الأرض تُمثل عجلة التوازن في الطبيعة، ويمتاز الماء بأربع خواص هامة تعمل على صيانة الحياة في المحيطات والبحيرات والأنهار، وخاصة حيثما يكون الشتاء قارسًا وطويلًا، فالماء يمتص كميات كبيرة من الأوكسجين عندما تكون درجة حرارته منخفضة، وتبلغ كثافة الماء أقصاها في درجة أربعة مئوية، والثلج أقل كثافة من الماء مما يجعل الجليد المتكون في البحيرات والأنهار يطفو على سطح الماء لخفته النسبية، فيهيئ بذلك الفرصة لاستمرار حياة الكائنات التي تعيش في الماء في المناطق الباردة، وعندما يتجمد الماء تنطلق منه كميات كبيرة من الحرارة تساعد على صيانة حياة الأحياء التي تعيش في البحار. أما الأرض اليابسة فهي بيئة ثابتة لحياة كثير من الكائنات الأرضية، فالتربة تحتوي العناصر التي يمتصها النبات ويمثلها ويحولها إلى أنواع مختلفة من الطعام يفتقر إليها الحيوان، ويوجد كثير من المعادن قريبًا من سطح الأرض، مما هيأ السبيل لقيام الحضارة الراهنة ونشأة كثير من الصناعات والفنون، وعلى ذلك فإن الأرض مهيأة على أحسن صورة للحياة، ولا شك أن هذا من تيسير حكيم خبير، وليس من المعقول أن يكون مجرد مصادفة أو خبط عشواء. الأرض أهم عالم عرفناه، إذ توجد فيها أحوال لا توجد في شيء من هذا الكون الواسع، وهي في ضخامتها (كما تبدو لنا) لا تساوي ذرة من هذا الكون العظيم، ولو أن حجمها كان أقل أو أكثر، مما هي عليه الآن لاستحالت الحياة فوقها، فلو أنها كانت في حجم القمر مثلًا؛ بأن كان قطرها ربع قطرها الموجود فعلًا. لكانت جاذبيتها سدس جاذبيتها الحالية، ونتيجة لذلك لا يمكن أن تمسك الماء والهواء من حولها، كما هي الحال في القمر، الذي لا يوجد فيه ماء ولا يحوطه غلاف هوائي، لضعف قوة الجاذبية فيه، وانخفاض الجاذبية في الأرض إلى مستوى جاذبية القمر سيترتب عليها اشتداد البرودة ليلًا حتى يتجمد كل ما فيها، واشتداد الحرارة نهارًا حتى يحترق كل ما عليها. وكذلك يترتب على نقص حجم الارض إلى مستوى حجم القمر أنها لن تمسك مقدارًا كبيرًا من الماء. وكثرة الماء أمر ضروري لاستمرار الاعتدال الموسمي على الأرض، ومن ثم أطلق أحد العلماء على هذه العملية لقب «عجلة

التوازن العظيمة» وكذلك سيرتفع الغلاف الهوائي للأرض في الفضاء ثم يتلاشى. ويتبع ذلك أن تبلغ درجة حرارة الأرض أقصى معدلها، ثم تنخفض إلى أدنى درجاتها، على ما سبق ذكره، وعلى العكس من ذلك، إذا كان قطر الأرض ضعف قطرها الحالي لتضاعفت جاذبيتها الحالية؛ وحينئذ ينكمش غلافها الجوي الذي هو على بعد خمسمائة ميل إلى ما دون ذلك. وسيترتب على هذا أن يزيد تحمل كل بوصة مربعة من خمسة عشر رطلًا إلى ثلاثين من الضغط الجوي، وهو ضغط يؤثر أسوأ الأثر في الحياة، ولو أن الأرض تضاعف حجمها، فصارت مثل حجم الشمس مثلًا، لبلغت قوة الجاذبية فيها مثل جاذبيتها الحالية مئة وخمسين مرة، واقترب غلافها الهوائي، حتى يصير منها على بعد أربعة أميال فقط، بدلًا من خمسمائة ميل، وارتفع الضغط الجوي إلى معدل طن واحد على كل بوصة مربعة. وذلك يؤدي إلى استحالة نشأة الأجسام الحية. وهو من الناحية النظرية يعني أن يصير وزن الحيوان الذي يزيد رطلًا واحدًا تحت الكثافة الهوائية الحالية خمسمائة رطل. كما يهبط حجم الإنسان حتى يصير في حجم فار كبير، واستحال وجود العقل في الإنسان، لأنه لا بد للعقل الانساني من أنسجة عصبية كثيرة في الجسم، ولا يوجد هذا النظام إلا إذا كان حجم الجسم بقدر معين. بل حتى المجموعة الشمسية سُخرت لكي تحافظ على الحياة على الأرض؛ فمثلًا كوكب المشتري بجاذبيته الكبيرة يجذب إليه المذنبات التي تتجه نحو مجموعتنا الشمسية ويقي الأرض من تبعات الاصطدام بإحداها.

ثالثًا: دليل التخصيص والتقدير والتسوية.

بالنظر إلى أي مخلوق من مخلوقات الله نجد تخصيص الله له بهيئة، أو شكل، أو مقدار معين؛ ليعيش حياته وتكتمل ولولا هذا التخصيص لفسدت حياته، وهذا إن دل فإنه يدل على وجود مخصص له عليم حكيم وهو الله تعالى.

يقول الشيخ ابن تيمية- رحمه الله-:" العين، والفم، والأذن فيها مياه ورطوبة؛ فماء العين مالح، وماء الفم عذب، وماء الأذن مُر؛ فإن العين شحمة، والملوحة تحفظها أن تذوب. وهذه أيضًا حكمة تمليح ماء البحر؛ فإن له سببًا وحكمةً؛ فسببه سبوخة أرضه وملوحتها، فهي توجب ملوحة مائه، وحكمتها أنها تمنع نتن الماء بما يموت فيه من الحيتان العظيمة؛ فإنه لولا ملوحة مائه لأنتن، ولو أنتن لفسد الهواء لملاقاته له، فهلك الناس بفساده، وإذا وقع أحيانًا، قتل خلق كثير فإنه يفسد الهواء حتى يموت بسبب ذلك خلق كثير. وماء الأذن مُر؛ ليمنع دخول الهوام إلى الأذن. وماء الفم عذب؛ ليطيب به ما يأكله، فلو جعل الله ماء الفم مرًا لفسد الطعام على آكله، ولو جعل ماء الأذن عذبًا لدخل الذباب في الدماغ، ونظائر هذا كثيرة. فلا يجوز أن يفعل بخلاف ذلك؛ مثل أن يجعل العينين في القدمين، ويجعل الوجه خشنًا غليظًا كالقدمين...بل من الحكمة أن جعل العينين في أعلى البدن، في مقدمه ليرى به ما أمامه، فيدري أين يمشي، وجعل الرجل خشنة تصبر على ما تلاقيه من التراب وغيره. والعين لطيفة يفسدها أدنى شيء، فجعل لها أجفانًا تغطيها وأهدابًا.. هذا ومثله من مخلوقات الرب دل على أنه قد أحكم ما خلقه،

وأتقنه، ووضع كل شيء بالموضع المناسب له، وهذا يوجب العلم الضروري أنه عالم؛ فيميز بين هذا وبين هذا، حتى خصَّ هذا بهذا، وهذا بهذا. وهو أيضًا يوجب العلم الضروري بأنه أراد تخصيص هذا بهذا، وهذا بهذا؛ فدلل على علمه وإرادته" (1).

ونحن نستدل بما نشاهده في الكون من التقدير والتسوية على وجود الله؛ فالله تعالى قدر لكل مخلوق ما ينفعه في نفسه، ولا يضر غيره، ولا يصطدم بالمخلوقات الأخرى، وأعطى كل شيء من الخلق والتصوير ما يؤدي به وظيفته على الوجه اللائق به؛ فيتم التناسق والتوازن بين وحدات الكون وأجزائه؛ فكل شيء خلقه الله بقدر. وكل شيء عند الله بمقدار أي بدون زيادة أو نقصان في أي مخلوق من المخلوقات؛ فالماء مثلًا أنزله بقدر وأسكنه في الأرض، وأنبت فيها من كل شيء موزون، وهذا التقدير المتقن المحكم المدرك حسًا لا يمكن أن يكون من غير سبب، ولا بد أن يكون هناك من خلق هذه المخلوقات بهذا التقدير المحكم المتقن، وهو الله تعالى.

الدليل الثالث: الدليل الحسي.

معنى الدليل الحسي: هو نوع من الأدلة يعتمد على الحواس الخمس (البصر، السمع، اللمس، الشم، والتذوق) لإثبات أو نفي شيء ما.

ومن أمثلته: الإنسان حين يدعو الله وهو مضطر، وحاضر القلب، يستجيب الله دعاءه؛ فهذه أمور واقعية محسوسة تدل دلالة حسية على وجود الخالق، يقول تعالى في كتابه الكريم: ﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ (2)، والأمثلة على ذلك في القرآن الكريم كثيرة.

دور العلم الحديث في إثبات وجود الله تعالى (3).

نتحدث عن دور العلم في إثبات وجود الله؛ لسببين:

- أولًا: لأن العلم هدم الداعم الأساسي للإلحاد؛ وبذلك يعدُّ العلم العدو الأكبر للملحدين.
- ثانيًا: لأن الملحدين لا يقرون بالخالق وبالتالي لا يقرون بالدين، والمسائل العلمية والاكتشافات الحديثة تخاطب عقولهم فيؤمنون بها، وفيما يلي ثلاث مقالات لعلماء متخصصين في الطبيعة:

أولًا: نشأة العالم: هل هو مصادفة أو قصد؟! كتبها: (فرانك ألن) عالم الطبيعة البيولوجية.

يقول (فرانك ألن): كثيرًا ما يقال إن هذا الكون المادي لا يحتاج إلى خالق، ولكننا إذا سلمنا بأن هذا الكون موجود فكيف نفسر وجوده ونشأته؟ هنالك أربع احتمالات للإجابة عن هذا السؤال: فإما أن

(1) النبوات، لابي العباس أحمد ابن تيمية الدمشقي، تحقيق: عبد العزيز صالح الطويان، أضواء السلف، الرياض- المملكة العربية السعودية، ط1، 1420هـ، ج 2، ص 922-923.

(2) سورة الأنبياء، آية: 83-90.

(3) للاستزادة انظر: الله يتجلى في عصر العلم، لمجموعة من الباحثين الأمريكيين، ص42-47.

يكون هذا الكون مجرد وهم وخيال، وهو ما يتعارض مع القضية التي سلمنا بها حول وجوده، وإما أن يكون هذا الكون قد نشأ من تلقاء نفسه من العدم، وإما أن يكون أبديًا ليس لنشأته بداية، وإما أن يكون له خالق.

- الاحتمال الأول: هو رأي وهمي لا يحتاج إلى مناقشة أو جدال.
- الاحتمال الثاني: القائل إن هذا العالم بما فيه من مادة وطاقة قد نشأ هكذا وحده من العدم، فهو لا يقل عن سابقه سخفًا وحماقة، ولا يستحق هو أيضًا أن يكون موضعًا للنظر أو المناقشة والجدال.
- الاحتمال الثالث: وهو أن هذا الكون أزلي ليس لنشأته بداية إنما يشترك مع الاحتمال الرابع الذي ينادي بوجود خالق لهذا الكون، وذلك في عنصر واحد هو الأزلية.
- الاحتمال الرابع: قوانين الديناميكا الحرارية تدل على أن مكونات هذا الكون تفقد حرارتها تدريجيًا وأنها سائرة حتمًا إلى يوم تصير فيه جميع الأجسام تحت درجة من الحرارة بالغة الانخفاض هي الصفر المطلق، ويومئذ تنعدم الطاقة، وتستحيل الحياة، أما الشمس المستعرة والنجوم المتوهجة والأرض الغنية بأنواع الحياة، فكلها دليل واضح على أن أصل الكون يرتبط بزمان بدأ من لحظة معينة، فهو إذًا حدث من الأحداث، ومعنى ذلك أنه لا بد لأصل الكون من خالق أزلي ليس له بداية، عليم محيط بكل شيء، قوي ليس لقدرته حدود، ولا بد أن يكون هذا من صنع يديه.

ثانيًا: الأدلة الطبيعية على وجود الله، كتبها: (بول كلارنس)، أستاذ الطبيعة الحيوية الحاصل على درجة الدكتوراه من جامعة كاليفورنيا، ومدير قسم النظائر والطاقة الذرية في معامل أوك ريدج – عضو جمعية الأبحاث النووية والطبيعية النووية.

يقول (بول كلارنس): لقد كنت عند بدء دراستي للعلوم شديد الإعجاب بالتفكير الإنساني وبقوة الأساليب العلمية إلى درجة جعلتني أثق كل الثقة بقدرة العلوم على حل أية مشكلة في هذا الكون بل على معرفة منشأ الحياة والعقل وإدراك معنى كل شيء، وعندما تزايد علمي ومعرفتي بالأشياء من الذرة إلى الأجرام السماوية، ومن الميكروب الدقيق إلى الإنسان تبين لي أن هناك كثيرًا من الأشياء التي لم تستطع العلوم حتى اليوم أن تجد لها تفسيرًا أو تكشف عن أسرارها، وتستطيع العلوم أن تمضي في طريقها ملايين السنين ومع ذلك سوف تبقى كثير من المشكلات حول تفاصيل الذرة والكون والعقل كما هي لا يصل الإنسان إلى حل لها أو الإحاطة بأسرارها وقد أدرك رجال العلوم أن وسائلهم وإن كانت تستطيع أن تبين لنا بشيء من الدقة والتفصيل كيف تحدث الأشياء؛ فإنها لا تزال عاجزة كل العجز عن أن تبين لنا لماذا تحدث الأشياء وإن العلم والعقل والإنسان وحدهم لن يستطيعوا أن يفسروا لنا لماذا تحدث الأشياء، ولماذا وجدت الذرات والنجوم والكواكب والحياة والإنسان بما أوتى من قدرة رائعة، وبرغم أن العلوم تستطيع أن تقدم لنا نظريات قيمة عن السديم ومولد المجرات والنجوم والذرات وغيرها من العوالم الأخرى فإنها لا تستطيع

أن تبين لنا مصدر المادة والطاقة التي استخدمت في بناء هذا الكون ونظامه الحالي، والحق أن التفكير المستقيم والاستدلال السليم يفرضان على عقولنا فكرة وجود الله، ولكن هل لله وجود ذاتي كما يعتقد الكثيرون؟! فإنني لا أستطيع أن أتصور الله تصورًا ماديًا بحيث تستطيع أن تدركه الأبصار ومع ذلك فإننا نستطيع أن نصل إلى أن الله تعالى يتصف بالعقل والحكمة والإرادة، وعلى ذلك فإن لله وجودًا ذاتيًا وهو الذي تتجلى قدرته في كل شيء وبرغم أننا نعجز عن إدراكه إدراكًا ماديًا فهنالك ما لا يحصى من الأدلة المادية على وجوده تعالى وتدل آياته في خلقه على أنه العليم الذي لا نهاية لعلمه الحكيم الذي لا حدود لحكمته القوي إلى أقصى حدود القوة، ولما كان إدراك كنه الله من الأمور الغامضة علينا لا نستطيع أن ندرك لماذا وجد الإنسان؟ أو لماذا وجد هذا الكون الذي لا يعدو أن يكون الإنسان ذرة ضئيلة من ذراته التي لا يحصيها عقل أو وصف؟ إن الأمر الذي نستطيع أن نثق به كل الثقة، هو أن الإنسان وهذا الوجود من حوله لم ينشأ هكذا نشأة ذاتية من العدم المطلق، بل إن لهما بداية ولا بد لكل بداية من مبدئ كما أننا نعرف أن النظام الرائع المعقد الذي يسود هذا الكون يخضع لقوانين لم يخلقها الإنسان وأن معجزة الحياة في حد ذاتها لها بداية كما أن وراءها توجيهًا وتدبيرًا خارج دائرة الإنسان إنه بداية مقدسة وتوجيه مقدس وتدبير إلهي محكم.

ثالثاً: الكشوف العلمية تثبت وجود الله،كتبها: (جورج ايرل دافيز)، عالم الطبيعة الحاصل على درجة الدكتوراه من جامعة منيسوتا، ورئيس قسم البحوث الذرية بالبحرية الأمريكية بيروكلين، أخصائي في الاشعاع الشمسي والبصريات الهندسية والطبيعية.

يقول (جورج): كلما تقدم ركب العلم وتضاءلت الخرافات القديمة ازداد تقدير الإنسان لمزايا الدين والدراسات الدينية، وقد تعددت الأسباب التي تدفع بالإنسان إلى إعادة النظر في أمور الدين، ولكننا نؤمن أنها ترجع جميعًا إلى رغبة البشر رغبة صادقة في الوصول إلى الحقيقة... أما عن عقيدتي في وجود الله، فمن العبث أن أنكر أنها لم تتأثر بما تلقيته من تعاليم دينية في سنوات حياتي الأولى، إذ إنه لا سبيل إلى التخلص من الآثار التي تتركها هذه السنوات المبكرة من حياتنا في أنفسنا، ولكنني استطيع أن أؤكد أنه بينما تتفق عقيدتي الدينية في الوقت الحاضر مع ما تعلمته في صباي عن وجود الله فإن هذه العقيدة تقوم في الوقت الحاضر على أساس قوي يختلف كل الاختلاف عن الأساس الذي يقوم عليه الإيمان المستمد من سلطة الكنيسة ورجال الدين، ولقد اتاح لي اشتغالي بدراسة الطبيعة، أن أدرس التركيب المعقد إلى درجة لا يتصورها العقل لبعض مكونات هذا الكون الذي لا تقل فيه روعة التذبذبات الداخلية لأصغر ذراته وما دون ذراته عن النشاط المذهل لأكبر النجوم السابحة في أفلاكها، والذي يسير فيه كل شعاع من الضوء، وكل تفاعل كيماوي أو طبيعي، وكل خاصية من خواص كل كائن حي وفق قوانين ثابتة لا تتبدل ولا تتغير. تلك هي الصورة التي تقدمها لنا العلوم والتي كلما تأملها الانسان،

اكتشـــف من بالغ دقتها ورائع جمالها ما لم يكن قد اكتشـــفه من قبل، ومع تقدم الكشـــف العلمي، ظهرت أســـئلة لا مفر منها، وهي أســـئلة ليســـت مبتكرة، وإن كانت تبدو جديدة بســـبب النظرة الحديثة إلى تكوين هذا الكون الذي يعتبر الإنســـان جزءا منه لا يتجزأ. ومن هذه الاســـئلة ذات القيمة الكبيرة بالنســـبة لمســـؤولياتنا ومصـــيرنا النهائي ذلك الســـؤال القديم: (هل يوجد إله علوي هو خالق هذا الكون)؟ وهنالك سؤال آخر أكثر صعوبة من سابقه وهو السؤال الذي يردده كثير من الأطفال وهو: (إذا كـان لهـذا الكون خـالق، فمن الـذي خلقـه)؟ ولا يمكننـا أن نثبـت وجود الله عن طريق الالتجـاء إلى طرق المادية وحدها، إذ لم يقل أحد بأن الله مادة حتى نســـتطيع أن نصـــل إليه بالطرق المادية، ولكننا نســـتطيع أن نتحقق من وجود الله باســـتخدام العقل والاســـتنباط مما نتعلمه ونراه، فالمنطق الذي نســـتطيع أن نأخذ به، والذي لا يمكن أن يتطرق إليه الشـــك، هو أنه ليس هنالك شـــيء، مادي يســـتطيع أن يخلق نفســـه، وإذا ســـلمنا بقدرة الكون على خلق نفســـه، فإننا بذلك نصـــف الكون بالألوهية، ومعنى ذلك أن نعترف بوجود إله، ولكننا نعتبره إلهًا ماديًا وروحيًا في نفس الوقت، وأنا أفضـــل أن أؤمن بإله غير مادي خـالق لهـذا الكون، دون أن يكون هـذا الكون كفوًا له. وأحب ان أضيف إلى هذا الاستدلال، استدلالًا آخر: وهو أنه كلما ارتقى وتقدم تطور المخلوقات، كان ذلك أشـــد دلالة على وجود خالق مدبر وراء هذا الخلق. إن التطور الذي تكشـــف عنه العلوم في هذا الكون، هو ذاته شـــاهد على وجود الله. فمن جزئيات بسيطة ليس لها صورة معينة وليس بينها فراغ نشأت ملايين من الكواكب والنجوم والعوالم المختلفة لها صـــور معينة وأعمار محددة تخضـــع لقوانين ثابتة يعجز العقل البشـــري عن الإحاطة بمدى إبداعها، وقد تحملت كل ذرة من ذرات هذا الكون، بل كل ما دون الذرة مما لا يدركه حس ولا يتصـــور صـــغره عقل، قوانينها وســـننها وما ينبغي لها أن تقوم به أو تخضـــع له، وهذه أدلة كافية، ولكن هنالك ما هو أشـــد إعجازًا وأكثر دلالة على وجود الله؛ فمن تلك الجزئيات البســـيطة لم تنشـــأ النجوم والكواكب فحســـب، بل نشـــأت كذلك أنواع متطورة من الأحياء، بل كائنات تستطيع أن تفكر وتبتكر وتخلق أشـــياء جميلة، بل هي تبحث عن أســـرار الحياة والوجود، إن كل ذرة من ذرات هذا الكون تشـــهد بوجود الله، وإنها تدل على وجوده حتى دون حاجة إلى الاســـتدلال بأن الاشـــياء المادية تعجز عن خلق نفسها.

فالاكتشـافات الحديثة في الآفاق والأنفس قد أثبتت أن كل شـــيء وضـــع في محله وبعناية فائقة، مما يدل على وجود إله حق عليم حكيم خبير، وذلك تصديقًا لقولـه تعـالى ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[1] .

ومن الأمثلة ايضًا أن علماء العصر الحديث اثبتوا بما

(1) سورة فصلت، آية: 53.

لا يدع مجالًا للشك من خلال الكشوفات العلمية أن الدماغ مقر الإحساس والذاكرة والعواطف والقدرة على الحركة، ولكنه ليس مقر العقل أو الإرادة، وفي هذا الإثبات إعجاز علمي للقرآن الكريم عجز العلماء عن إثباته، وحارت عقولهم القاصرة فيه؛ فأنكروا على سبيل الظن لا القطع أن يكون للعقل والإرادة أعضاء بشرية؛ فجاء الدين الإسلامي مبينًا بالأدلة القاطعة من الكتاب والسنة أن مكان العقل والإرادة هو القلب، ويُستفاد من هذا أن النقل الصحيح لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يعارض العقل الصريح. فاستطاع العالم (بنفليد) أن يرسم خريطة كاملة تبين مناطق الدماغ المسؤولة عن النطق والحركة وجميع الحواس الداخلية والخارجية غير أنه لم يستطع تحديد موقع العقل أو الارادة في أي جزء من الدماغ !

فأثبت العلماء في العصر الحديث أن الدماغ هو مقر الإحساس والذاكرة والعواطف والقدرة على الحركة، ولكنه ليس مقر العقل أو الإرادة؛ فالاعتقاد والتقرير مكانها ليس في الدماغ، وبناءً على ذلك العقل البشري والإرادة البشرية ليس لهما أعضاء جسدية عند علماء العصر الحديث ![1] لكن القرآن يبيَّن لنا أن مصدر العقل هو القلب؛ فالله سبحانه يعلم خائنة الأعين ويعلم أيضًا ما تخفي الصدور أي القلوب؛ لأن القلوب في الصدور والقلوب هي التي يكون بها العقل والفهم والتدبير كما قال الله: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ ﴾[2]، ولم يقل القلوب التي في الأدمغة؛ فالأمر فيه واضح جدًا أن العقل يكون في القلب ويؤيد هذا قول النبي ﷺ:"ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب"[3]. إذًا القلب هو محل العقل والتدبير للشخص، ولكن لا شك أن لها اتصالًا بالدماغ، ولهذا إذا اختل الدماغ فسد التفكير وفسد العقل؛ فهذا مرتبط بهذا لكن العقل المدبر في القلب، والقلب في الصدر، وفي هذا الجسم أشياء غريبة تحار فيها العقول[4]، وقد بدأت دراسات حديثة تتحدث عن "الذكاء القلبي" أو "القلب العصبي"، وتُشير إلى أن القلب فيه خلايا عصبية تشبه تلك التي في الدماغ، وأنه يرسل إشارات للدماغ أكثر مما يستقبل منه. وهذا ما يُعرف بـ Heart-Brain Communication. وهذا المفهوم ظهر من أبحاث علمية حديثة، أبرزها من معهد هارت ماث (HeartMath Institute)، وهي مؤسسة

(1) انظر: تقصيات جديدة في مباحث العقل والدماغ على الرابط التالي في الشبكة: https://www.nizwa.com/.

(2) سورة الحج، آية: 46.

(3) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، حديث رقم (52)، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، حديث رقم (1599).

(4) انظر: شرح رياض الصالحين، للشيخ ابن عثيمين- رحمه الله-، المجلد الأول، باب المراقبة.

علمية مهتمة بالعلاقة بين العواطف، القلب، والدماغ، وقد اكتشفت وجود شبكة من الخلايا العصبية في القلب: يحتوي القلب على أكثر من 40،000 خلية عصبية، تُعرف باسم "العُقد العصبية القلبية" (Intrinsic Cardiac Nervous System). هذه الخلايا تستطيع معالجة المعلومات بشكل مستقل عن الدماغ ! والقلب يرسل إشارات إلى الدماغ أكثر مما يتلقّى: عبر العصب الحائر (Vagus nerve)، القلب يرسل إشارات إلى مراكز معينة في الدماغ مثل: الجهاز الحوفي (Limbic system) المسؤول عن المشاعر، والقشرة الجبهية المرتبطة باتخاذ القرارات، وعندما يكون القلب في حالة اتساق أو انسجام (coherence)، مثل أثناء السكينة أو الحب أو الامتنان، يصبح أداء الدماغ أفضل، ويزيد التركيز، ويتحسن اتخاذ القرار، والقرآن نسب الفقه، والعقل، والبصيرة إلى القلب، وهذا كان يبدو مجازيًا في زمنٍ ما، لكن هذه الدراسات تُشير إلى أن القلب يفكر ويشعر ويؤثر بالفعل، وليس فقط عضوًا ميكانيكيًا، وله وظيفة معرفية وروحية. وأبعد من ذلك: بعض الدراسات تقول إن القلب له ذاكرة عاطفية. بل هناك حالات نادرة لأشخاص خضعوا لزراعة قلب، وظهر عليهم تغيّرات في الشخصية أو الذوق، مما جعل بعض العلماء يتساءلون: هل يمكن أن يخزن القلب شيئًا من "الهوية" أو "الذاكرة"؟[1]؛ فالقرآن الكريم لا يُنكر دور العقل والدماغ، لكنه يركز على أن القرارات الحقيقية، والفهم المؤثر، واليقين، والإيمان تنبع من القلب، أي من مركز المشاعر والنية والضمير؛ فالدماغ يعالج المعلومات، لكن القلب يقرر ما نؤمن به، وما نرفضه، ولهذا قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾[2].

كذلك أجمعت آراء كبار علماء الفيزياء النووية في العصر الحديث على أن الكون بما فيه من ملايين المجرات، ومليارات النجوم، والكواكب قد بدأ في لحظة محددة من الزمن، وأن المادة ليست أزلية؛ مما يدل دلالة قاطعة على أن الطبيعة لا يمكن أن تعتبر خالقًا؛ لأنها مُحدثة؛ والمحدث يحتاج إلى خالق يخلقه ويُحدثه.

يقول دكتور جعفر شيخ إدريس: "ثم جاءت نظرية الانفجار العظيم؛ فأبطلت هاتين الحجتين الأساسيتين اللتين اعتمد عليهما الإلحاد الحديث؛ إذ إنها تقتضي أن هذا الكون- بما في ذلك الزمان والمكان- له بداية مطلقة.. فمنهم من قال: إنه إذا صحت النظرية؛ فلا مناص من القول بوجود الخالق..."[3].

وأثبت علماء العصر الحديث أن للنجوم آجالًا محددة تولد وتموت كالآدميين، وأن الكون في تطور

(1) انظر: الموسوعة الحرة ويكيبيديا على الرابط التالي: شبكي العقدي – ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

(2) سورة الحج، آية: 46.

(3) انظر: الفيزياء ووجود الخالق، للدكتور/ جعفر شيخ إدريس، المنتدى الإسلامي، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، 1422هـ- 2001م، ص91-95.

وتمدد مستمرين، وقد ذكر الله هذا في كتابه الكريم عند قوله ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾[1].

كما أثبت علماء العصر الحديث أن الجمال المنتشر في الطبيعة على كافة المستويات يثبت هدفًا وخطة مرسومة من عقل أزلي الوجود يدبره ويرعى شؤونه.

والاكتشافات الحديثة أثبتت أن المادة في أدق مستوياتها لا تُفهم إلا باستخدام العقل، وأن الإدراك الحسي حقيقة، ولكنه ليس المادة، ولا هو من خواص المادة، وليس في مقدور المادة أن تفسره، وهذا ضد إجماع العلماء الطبيعيين الذي يقول لا شيء هناك سوى المادة، وهذا الاكتشاف هو من أقوى الردود العلمية على الذين ينكرون وجود الله؛ لأنه غير مادي محسوس.

فهذه بعض الأدلة على وجود الله سبحانه، وهي أدلة من تأملها وأمعن النظر فيها لا يسعه إلا التسليم بها.

الفصل الثالث: نواقض توحيد الربوبية

تنقسم النواقض إلى قسمين [2]:

- **القسم الأول:** (الإلحاد) أي إنكار وجود الله، ولم ينكر وجود الله إلا القليل من الناس كالدهرية والملاحدة الماديين الذين يقولون: لا إله والحياة مادة، وكذلك فرعون الذي جحد وجود الله جل جلاله، وأدعى أنه هو الرب رغم أنه يعلم في قرارة نفسه أنه كاذب.

- **القسم الثاني:** (الشرك) أي اعتقاد متصرف مع الله تعالى في أي شيء من تدبير الكون من ايجاد، أو إعدام، أو إحياء، أو إماتة، أو جلب، خير، أو دفع شر، أو غير ذلك من معاني الربوبية أو اعتقاد منازع له في شيء من مقتضيات أسمائه وصفاته كعلم الغيب أو كالعظمة والكبرياء ونحو ذلك، أو اعتقاد مشرع مع الله تعالى، وسيأتي تفصيل ذلك- إن شاء الله-.

القسم الأول: (الإلحاد) إنكار وجود الله تعالى

قال تعالى: ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ ﴾[3].

(1) سورة الذاريات، آية: 47.

(2) انظر: أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، لحافظ بن أحمد الحكمي، ص56، ورسائل الشيخ الحمد في العقيدة، للشيخ/ محمد بن إبراهيم أحمد الحمد، 2010م، ج3، ص8.

(3) سورة النمل، آية:14.

وسيأتي- إن شاء الله- تفصيل هذا في الصفحات التالية:

أولًا: فرعون والنمرود.

يذكر تعالى في الكتاب الكريم ما كان بين موسى وفرعون من المقاولة والمحاجة والمناظرة وما أقامه الكليم على فرعون اللئيم من الحجة العقلية ثم الحسية وذلك أن فرعون قبحه الله أظهر جحد الخالق تبارك وتعالى وزعم أنه الإله، وهو في هذه المقالة معاند يعلم أنه عبد مربوب وأن الله هو الخالق البارئ المصور الإله الحق، ولهذا قال لموسى- عليه السلام- على سبيل الإنكار لرسالته، وإظهار أنه ما ثم رب أرسله وما رب العالمين؟ فكأنه يقول له ولهارون- عليهما السلام- ومن رب العالمين الذي تزعمان أنه أرسلكما فأجابه موسى قائلًا: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ٢٤﴾[1]. أي خالق جميع ذلك ومالكه والمتصرف فيه وإلهه لا شريك له هو الله الذي خلق الأشياء كلها العالم العلوي وما فيه من الكواكب النيرات الثوابت والسيارات والعالم السفلي وما فيه من بحار وأنهار وقفار وجبال وأشجار وحيوانات ونبات وثمار وما بين ذلك من الهواء والطير والسحاب المسخر والرياح والمطر وما يحتوي عليه الجو وغير ذلك من المخلوقات التي يعلم كل موقن أنها لم تحدث بأنفسها ولا بد لها من موجد ومحدث وخالق وهو الله الذي لا إله إلا هو رب العالمين الجميع مذللون مسخرون وعبيد له خاضعون ذليلون إن كنتم موقنين أي إن كانت لكم قلوب موقنة وأبصار نافذة. وقد قال فرعون لمن حوله من كبرائه ورؤساء دولته على سبيل التهكم والتنقص والاستهزاء والتكذيب لموسى- عليه السلام- فيما قاله ألا تستمعون أي ألا تعجبون من هذا في زعمه أن لكم إلهًا غيري فقال لهم موسى ربكم ورب آبائكم الأولين أي هو الذي خلقكم والذين من قبلكم من الآباء والأجداد والقرون السالفة في الآباد فإن كل واحد يعلم أنه لم يخلق نفسه ولا أبوه ولا أمه ولم يحدث من غير محدث وإنما أوجده وخلقه رب العالمين، ومع هذا كله لم يستفق فرعون من رقدته ولا نزع عن ضلالته بل استمر على طغيانه وعناده وكفرانه قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون ! أي ليس له عقل في دعواه أن ثم ربًا غيري؛ فأجاب موسى- عليه السلام- بقوله: ﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢٨﴾[2]. أي هو الذي جعل المشرق مشرقًا تطلع منه الكواكب والمغرب مغربًا تغرب فيه الكواكب ثوابتها وسياراتها مع هذا النظام الذي سخرها فيه وقدرها وهو الله لا إله إلا هو خالق الظلام والضياء ورب الأرض والسماء رب الأولين والآخرين خالق الشمس والقمر والكواكب السائرة والثوابت الحائرة خالق الليل بظلامه والنهار بضيائه والكل تحت قهره وتسخيره وتسييره سائرون وكل في فلك يسبحون يتعاقبون في سائر الأوقات ويدورون فهو تعالى الخالق المالك المتصرف في خلقه بما يشاء فإن كان هذا الذي يزعم أنه ربكم وإلهكم صادقًا فليعكس الأمر وليجعل المشرق مغربًا والمغرب مشرقًا

(1) سورة الشعراء، آية: 24.

(2) سورة الشعراء، آية:28.

والثابت سائرًا والسائر ثابتًا ولما قامت الحجج على فرعون وذهبت شبهه وغلب وانقطعت حجته ولم يبق له قول سوى العناد عدل إلى استعمال جاهه وقوته وسلطانه وسطوته واعتقد أن ذلك نافعًا له ونافذًا في موسى- عليه السلام-؛ فقال: ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾[1]! إلى آخر ما قص الله تعالى عنه حتى قصمه الله تعالى قاصم الجبابرة وأخذه أخذ عزيز مقتدر ومناظرة الرسل لأعداء الله في الباب يطول ذكرها ومقامات نبينا محمد ﷺ مع هذه الأمة أشهر من أن تذكر فمن شاءها فليقرأ المصحف من فاتحته إلى خاتمته إلا أن أمته لم يكن فيهم من يجحد الخالق، بل هم مقرون به وبربوبيته غير أنهم لم يقدروه حق قدره، بل عبدوا معه [2].

أما النمرود فقد وردت قصته قبل ذلك [3].

ثانياً: الدهرية.

هو اعتقاد فكري ظهر في فترة ما قبل الإسلام أو الجاهلية، ويشتق من مصطلح الدهر؛ لاعتبار الدهر هو السبب الأول للوجود، وأنه غير مخلوق ولانهائي، أي أن المادة لا فناء لها وهذا الاعتقاد قريب من اعتقاد العلمانية أو المادية [4].

والدهرية ومن وافقهم من مشركي العرب في إنكار المعاد كانوا يقولون: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ [5]، وهم بهذا القول يكابرون المعقول ويكذبون المنقول، ولهذا لما قالوا: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ قال الله سبحانه: ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾[6]، أي يتوهمون ويتخيلون.

وقال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى: "يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر، بيدي الأمر، أقلب الليل والنهار". وفي رواية: "لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر". وفي رواية: "لا يقل ابن آدم: يا خيبة الدهر، فإني أنا الدهر، أرسل الليل والنهار، فإذا شئت قبضتهما" [7]؛ فالعرب كانت تذم الدهر وتسبه عند النوازل، وتنسب إليه ما يصيبهم من المصائب والمكاره، فإذا أضافوا إلى الدهر ما نالهم من الشدائد سبوا فاعلها، فكان مرجع سبها إلى الله عز وجل، إذ هو الفاعل في الحقيقة للأمور التي يصفونها، فنهوا عن سب الدهر.

ثالثاً: الشيوعية.

هي حركة فكرية واقتصادية يهودية إباحية، ظهرت في ألمانيا على يد مؤسسها كارل ماركس اليهودي الألماني، وتقوم على الإلحاد وأن المادة هي أساس كل

---

(1) سورة الشعراء، آية:29.

(2) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، للحافظ بن أحمد بن علي الحكمي، ص44.

(3) انظر: ص 26 من الكتاب.

(4) انظر: جزيرة العرب قبل الإسلام، لبرهان الدين دلّو، منشورات آنيب- الجزائر، ودار الفارابي- بيروت، 1989هـ-2007م، ص 621-623.

(5) سورة الجاثية، آية: 24.

(6) سورة الجاثية، آية: 24.

(7) رواه البخاري في صحيحه، في كتاب التفسير، باب: تفسير سورة الجاثية، حديث رقم (4826)، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب النهي عن سب الدهر، حديث رقم (2246).

شـــيء، وعلى إلغاء الملكية الفردية؛ فهي ضـــد الرأسمالية التي تقوم على تنمية الملكية الفردية، وتقوم كذلك على إلغاء التوارث، وإشـــراك الناس كلهم في الانتاج وفي الأموال والنساء على حد سواء [1].

فالشيوعيون: ملاحدة لا يؤمنون إلا بالمادة إله لهم.

أفكار الشيوعيون ومعتقداتهم [2]:

- إنكـار وجود الله تعـالى وكـل الغيبيـات فلا آخرة ولا عقاب ولا ثواب في غير الحياة الدنيا.
- يحاربون الأديان ويعتبرونها وســـيلة لتخدير الشعوب وخادمة للرأسمالية.
- يحاربون الملكية الفردية ويقولون بشـــيوعية الأموال وإلغاء الوراثة.
- يؤمنون بأزليـة المـادة، ويقولون: إن (المـادة) أساس كل شيء، وأن العوامل الاقتصادية هي المحرك الأول للأفراد والجماعات.
- ينكرون الروابط الأسـرية، وبالتالي لا بد من أن تحل محلها الفوضى الجنسية.
- يهدمون المســـاجد ويحولونها إلى دور ترفيه، ويمنعون المسلم من إظهار شعائر دينه.

رابعاً: الملاحدة.

معنى الإلحاد في العصر الحاضر: هو إنكار وجود الله تعالى [3].

ووصـف الإلحاد يشـمل كل من لم يؤمن بالله، ويزعم أن المادة أزلية أبدية، وأن كل ما في الحياة حدث بالصدفة دون تحديد وقت معين لها، وأنه تطور تطورًا ذاتيًا بمقتضى طبيعة المادة وقوانينها، وليس لأن هناك قوة إلهية أوجدته.

ويعُرف الشيخ/ عبد الرحمن عبد الخالق الإلحاد: بأنه هو الكفر بالله والميل عن طريق أهل الإيمان والرشـد، وظهور التكذيب بالبعث والجنة والنار وتكريس الحياة كلها للدنيا فقط. والإلحاد اليوم ظاهرة عالمية فالعالم الغربي في أوربا وأمريكـا وإن كـان وارثًا في الظـاهر للعقيدة النصـرانية التي تؤمن بالبعث والجنة والنار إلا أنه ترك هذه العقيدة الآن وأصـبح إيمان الناس هناك بالحياة الدنيا فقط وأصبحت الكنيسة مجرد تراث وأثر من آثار الماضي، ولا تشكل في حياة الناس وعقولهم إلا شـيئًا تافهًا جدًا وقد أصـبح (الإلحاد) هو الدين الرسمي المنصوص عليه في كل دساتير البلدان الأوربية والأمريكيـة ويعبر عن ذلـك (بالعلمـانيـة والتطور والحضـــارة) تارة، و(اللادينية) تارة أخرى وكل ذلك يعني الإلحاد والكفر بالله؛ لأن هذه الأفكار المتحضرة والمتطورة علميًا لا تقبل إلا بالمحسوس الممكن فحصه وتجربته علميًا [4].

(1) انظر: الموجز في الأديان والمذاهب المعاصـــرة، لناصـــر القفاري وناصر العقل، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض- المملكة العربية السـعودية، 1426هـــ، ص 97، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصـــرة، لمانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية، ط4، 1420هـ، ج2، ص 919 بتصرف.

(2) انظر: الموســـوعة الميســـرة، لمانع حماد الجهني، ج2، ص919-921.

(3) انظر: التعريفات الاعتقادية، لســـعد بن محمد آل عبد اللطيف، دار الوطن- الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1422هـ، ص57-60.

(4) انظر: (الإلحاد) أســـباب هذه الظاهرة وطرق علاجها، للشـيخ/عبد الرحمن عبد الخالق، الرئاسـة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشـاد، الرياض، ط 2، 1404هـ، ص 6، والإلحاد وآثاره في الحياة الأوروبية الحديثة، لصالح أسحاق بامبا صالح، رسالة ماجستير في =

ومعنى هذا أن الإلحاد يتضمن إنكار وجود الله وما يتبعه من وجود نبوة أو دين، والاعتقاد بأن التطور هو السبب في وجود جميع الظواهر الكونية والبشرية.

فالفكر الإلحادي المعاصر يتضمن مفاهيم أدت إلى إنكار وجود إله للكون؛ ومنها [1]: أن الكون نشأ تلقائيًا، نتيجة لأحداث عشوائية، دون الحاجة إلى صانع، وظهرت الحياة ذاتيًا من المادة؛ عن طريق قوانين طبيعية، وأن الفرق بين الحياة والموت هو فرق فيزيائي بحت؛ سيتوصل إليه العلم يومًا ما، وأن الإنسان مادة يفنى بالموت، وأنه ليس هناك وجود لمفهوم الروح، وليس هناك حياة أخرى بعد الموت، وعلى هذا كان الإلحاد في العصر الحديث على أنواع متعددة، منه الإلحاد العقلي: وهو القائم على مناقشات فلسفية أو فيزيائية، ومنه الإلحاد النفسي الناتج عن الشكاك أصحاب الأهواء والشهوات الذين يرون أن الأدلة لا تكفي في إثبات وجود الله، ومنه الإلحاد السياسي الموجه لمحاربة بلد أو اتجاه معين.

ثانيًا: أسباب انتشار الإلحاد في العالم الغربي وأثره على العالم الشرقي وسبل مواجهته.

- الثورة على الكنيسة ورجالها في أوروبا في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي؛ لأنهم كانوا يستعبدون الناس والعلماء خاصة باسم الدين، فالناس كرهوا الدين وكل ما يمت له بصلة من أفكار وعقائد، وكان البديل الأفكار الإلحادية التي لبست ثوب العلم والمعرفة.

- ظهور المذاهب الاقتصادية الالحادية المبنية على النظريات المضللة كنظرية (داروين) ودور اليهود في نشرها: كان من أكبر أسباب انتشار الإلحاد؛ فظهرت (الشيوعية) التي نادى بها (كارل ماركس اليهودي الألماني) لمعالجة مظالم الرأسمالية الفردية، وهي مبنيٌة على النظرية الداروينية، وهو مذهب منسوب لـ (تشارلز داروين) صاحب كتاب (أصل الأنواع) الذي ظهرت فيه فكرته، وعرفت بنظرية (النشوء والارتقاء)، وتقوم هذه النظرية على اعتقاد أن الخلية الحية البسيطة أخذت تنقسم وتتعدد وتأخذ أشكال مختلفة حتى صار منها النبات والحيوان والإنسان [2]، وداروين في الأصل نصرانيًا لكن اليهود لهم دور في نشر نظريته الهدامة التي تخدم أهدافهم في البروتوكولات الصهيونية.

- الشيوعية الذي نادى بها كارل ماركس دافعت عن العمال والفلاحين المظلومين الذين لم يأخذوا أجورهم من أصحاب رؤوس الأموال في أوروبا؛ لذلك تبنى أغلب الناس هذه العقيدة الجديدة والفكر الجديد؛ لأنه دافع عن مصالحهم بعكس الكنيسة الأوروبية ورجال الدين النصراني الذين كانوا يحثوهم على الصبر والتحمل ولم يساعدوهم على أخذ أجورهم، ووقفوا بصف أصحاب رؤوس

جامعة الملك عبد العزيز بجدة، 1400هـ، ص18-24.

(1) انظر: رحلة عقل، لعمرو شريف، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط9، 1446هـ، ص21.

(2) انظر: أصل الأنواع، لتشارلز داروين، ترجمة/ إسماعيل مظهر، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2017م.

الأموال؛ فانتشـــر الإلحاد ســـريعًا مع هذا المذهب الاقتصـــادي الذي هدم الأديان وأعتبره أفيون ومخدر للشعوب، وابتدأت الشعوب تتحول نحو الإلحاد كما في روسيا والصين.

– ضـــعف العـالم الإســـلامي من النواحي العسـكرية والسـياسـية أمام الاسـتعمار والغزو الغربي بجميع أنواعه؛ فالشـعوب الإسـلامية أصـبحت تقلد المستعمر الغربي وتتشبه به فيكل شؤونها، وتدخل في عقيدته الإلحادية ظنًا منهم أن الغرب لم يصـــلوا إلى القوة المادية والعســكرية والســياســة والحضــارية إلا برفضـهم للدين، فالاتحاد السـوفيتي مثلًا لم يُصبح من الدول العظمى إلا بعد انتشـار الإلحاد فيه، وهو على عكس الدول التي كانت تتمســك بالأديان في ذلك الوقت؛ فهي دول نامية ويعمها الجهل والتخلف؛ فانصرف الناس عن العقائد الدينية.

– انغماس أهل البلدان المتحضرة في الشـهوات والملذات، واتباع الأهواء، ومحاربة الأديان، وكراهية ما فيهـا من أحكـام، واعتبـارهـا قيودًا للحريـة، وحجرًا للملذات والشهوات ساهم في نشر الإلحاد.

– الانبهـار بالحضـــارة ومـا فيهـا من ملهيـات ومغريات، وخروج المرأة من المنزل لتشـــارك الرجل في العمل؛ فالهم الأكبر هو الحصـول على قدر كبير من المـال، وتوفير متطلبـات الحيـاة، وتحقيق مزيـد من الرفاهية مما أدى إلى عدم التفكير والتدبر والتبصـر في حقائق الدين، وحال الحياة، والإنســـان، ومصـــيره الأخروي.

– الإنســـان في البلدان المتحضـــرة محاصـــر بالعمائر الشـاهقة والأضـواء التي تحجبه عن الطبيعة، والتأمل والتفكر فيمن خلقها وأبدعها، منشـــغل بها عن معرفـة خـالقـه أو لمـاذا خلق؟ وتبقى كثير من الأسئلة الفطرية الخالدة في نفسه في أوقات النكبات والشـدائد بلا إجابة، ويكون ذلك سببًا في التشتت النفسي والضياع.

وإذا استطاع المسلمون أن يملكوا لكل سؤالًا جوابًا وأن يكون الجواب كما يرى الناس لا كما يســـمعون فقط استطاعوا القضـاء على الإلحاد [1]، ومن أشـهر شـــبهـات الملاحـدة المنكرون لوجود الله في الوقت المعاصـــر: ادعائهم أن في الكون ظواهر عشـــوائية مما يدل على عدم النظام، وانكروا وجود الخالق المبدع المدبر؛ وللرد عليهم نقول:

أولًا: لو سلمنا بوجود هذه الظواهر؛ فإنها في الحقيقة لا تلغي النظـام الموجود في الكون؛ فكم يوجـد في الكون من أشـياء منظمة منسـقة حتى أبهرت علماء الفيزياء، والأحيـاء، والكيميـاء، والفلـك، والجولوجيـا وغيرهم فمثلاً: (الشـــمس) تلك الســـاعة العظمى المحكمة التي تحدد الزمن بدقة قد صـــار لها ملايين السـنين ولم تختل عن سـيرها ! فالنظام هو السـائد في الكون؛ بدليل إمكان العلماء من وضـع قوانيين ثابتة للظواهر الفيزيائية، والطبيعية؛ فلو كانت الفوضى هي الســائدة لما تمكن العلماء من وضــع هذه القوانيين،

(1) انظر: (الإلحاد) أســباب هذه الظاهرة وطرق علاجها، للشيخ/عبد الرحمن عبد الخالق، ص38-42.

ووجود الطبيعة من جبال، وبحار، وغابات، وحيوانات، ونباتات وغير ذلك على هذا النظام المتسق البديع المتآلف، والارتباط الملتحم بين الأسباب والمسببات، وبين الكائنات بعضها مع بعض يمنع منعًا باتًا أن يكون وجودها صدفة أو خبط عشواء كما يدعي الملحدون ! وحتى إذا وصل العلم إلى معرفة كل الأسباب الطبيعية؛ فهذا لا ينفي وجود الخالق، بل هذه الأسباب الطبيعية دالة على مُوجد لها فكل سبب له مسبب، والله تعالى مسبب هذه الأسباب الطبيعية.

ثانيًا: هم يقولون بالفوضوية لعدم علمهم بأسباب الأمور، ومن ذلك:

أن الأمور الخارجة عن المعتاد في الكون كالبراكين، والزلازل، والفيضانات يستخرج الله من خلالها أنواع العبادات كالشكر، والحمد، والدعاء، والصبر، والتوكل، وهذه هي الغاية من خلق الجن والأنس؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[1]، والأمور المتضادة كالصحة، والمرض، والعقل، والجنون، والحركة، والشلل، والبصر، والعمى، تبيَّن قدرة الله على خلقها، وتبيَّن عظمته، وتزيدُ من إيمان المرء بربه. وهذه الأمور غير المعتادة والمتضادة قد تكون للاختبار، والابتلاء؛ فالدنيا دار ممر، خُلقت للاختبار والابتلاء، والآخرة هي دار الجزاء والنعيم، والحياة السرمدية الباقية.

القسم الثاني: الشرك

إن أعظم ما عصي به الله منذ بدء الخليقة إلى يومنا هذا الشرك به سبحانه، حتى وصف الله هذا الذنب بالظلم العظيم، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾[2]، وما ذلك إلا لما فيه من الجناية العظيمة في حق الخالق جلَّ جلاله؛ فالله هو الذي خلق، وهو الذي رزق، وهو الذي يحيي، وهو الذي يميت، ومع كل هذه النعم، وهذه المنن، والمشرك يصرف عبادته وتعظيمه لغير الله سبحانه؛ فما أعظمه من ظلم وما أشده من جور، لذلك كانت عقوبة المشرك أقسى العقوبات وأشدها، ألا وهي الخلود الأبدي في النار، قال تعالى في بيان ذلك: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾[3]، وكل ذنب مات العبد من غير أن يتوب منه حال الحياة فإمكان العفو والمغفرة فيه يوم القيامة واردٌ إلا الشرك والكفر، فإن الله قد قطع رجاء صاحبه في المغفرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾[4]، والشرك المقصود هو الشرك الأكبر المخرج من الملة، وهو على أنواع، وأحد أنواعه هو الشرك في الربوبية: **وهو اعتقاد أن ثمة متصرف في الكون بالخلق والتدبير مع الله سبحانه.**

يقول الشيخ بن تيمية- رحمه الله-:" الكفار المشركون مقرون أن الله خالق السموات والأرض، وليس في جميع الكفار من جعل لله شريكًا مساويًا له في ذاته، وصفاته، وأفعاله، هذا لم يقله أحد قط؛ لا من المجوس الثنوية، ولا من أهل التثليث، ولا من

(1) سورة الذاريات، آية: 56.

(2) سورة لقمان، آية: 13.

(3) سورة المائدة، آية:72.

(4) سورة النساء، آية: 48.

الصابئة المشركين الذين يعبدون الكواكب والملائكة، ولا من عباد الأنبياء والصالحين، ولا من عباد التماثيل والقبور وغيرهم "[1]، ويقول الشيخ حافظ الحكمي ضد توحيد الربوبية: "هو اعتقاد متصرف مع الله عز وجل في أي شيء من تدبير الكون من إيجاد، أو إعدام، أو إحياء، أو إماتة، أو جلب خير، أو دفع شر، أو غير ذلك من معاني الربوبية، أو اعتقاد منازع له في شيء من مقتضيات أسمائه وصفاته كعلم الغيب، والعظمة، والكبرياء ونحو ذلك" [2].

فالشرك على نوعين:

- **النوع الأول**: اثبات خالق مع الله مساويًا له في الصفات ومشاركًا له في الأفعال، وهذا لم يعرف في بني آدم من قال به أبدًا.

- **النوع الثاني**: اثبات خالق مع الله مساويًا له في بعض أفعاله وهذا وقع فيه بعض بني آدم، وفيه صور متعددة [3] مذكورة على التوالي:

1- **المجوس**: "الأصلية" قالوا بالأصلين: النور والظلمة، وقالوا: إن النور أزليٌّ، والظلمة محدثة.

2- **الثنوية**: "أصحاب الاثنين الأزليّين": يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان، ولم يقولوا بتماثلهما في الصفات والأفعال.

3- **المانوية**:" أصحاب ماني بن فاتك" قالوا: إن العَالَمَ مصنوع من أصلين قديمين، ومتفقون على أن النور خير من الظلمة، وهو الإله المحمود، وأن الظلمة شريرة ومذمومة، فلم يثبتوا بذلك ربين متماثلين.

4- **النصارى**: "القائلون بالتثليث"؛ فالنصارى لم يثبتوا للعالم ثلاثة أرباب ينفصل بعضها عن بعض، بل هم متفقون على أنه صانع واحد يقولون: باسم الأب والابن وروح القدس إله واحد، ويقولون: واحد بالذات ثلاثة بالأقنوم.

5- **القدرية**: هم في الحقيقة مشركون في الربوبية، وهذا لازم لمذهبهم؛ لأنهم يرون أن الإنسان خالقٌ لفعله، فهم أثبتوا لكل أحد من الناس خَلْقَ فعله، وأطلق عليهم مصطلح (**القدرية مجوس هذه الأمة**).

6- **عبدة الأصنام**: من مشركي العرب وغيرهم ممن كانوا يعتقدون أن الأصنام تضر وتنفع، فيتقربون إليها، وينذرون لها، ويتبركون بها، وأصل الشرك عند العرب من باب شرك التوسل والشفاعة والوسائل والتقرب للصالحين.

7- **غلاة الصوفية**: لغلوهم في الأولياء، وزعمِهم أنهم يضرون، وينفعون.

8- **الروافض**: لقولهم بأن الدنيا والآخرة للإمام، يتصرف بها كيف يشاء، وأن تراب الحسين شفاءٌ من كل داء.

9- **النصيرية**: لقولهم بألوهية علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- وبأنه المتصرف بالكون.

10- **الدروز**: لقولهم بألوهية الحاكم بأمر الله العبيد،

(1) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ج11، ص51.

(2) أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، لحافظ بن أحمد الحكمي، ص 24.

(3) انظر: رسائل الشيخ الحمد في العقيدة، للشيخ/ محمد بن إبراهيم أحمد الحمد، ج3، ص8-11.

وغلوهم فيه، ووصـــفِه بأوصـــافٍ لا تليق إلا بالله وحده.

11- **من يعتقـدون تأثير النجوم والكواكـب والأسماء:** الـذين يتتبعون الأبراج ويضـــعون عليهـا دعاياتٍ تقول: مِنْ شـهر ميلادك تعرف حظك، أو من اسمك تعرف حظك كل ذلك شـرك في الربوبية؛ لأنه ادعاءٌ لعلم الغيبِ.

12- **القانونيون:** الذين يَصـــدون عن شـــرع الله، ويحكمون الناس بالقوانين الوضـعية؛ فهؤلاء منازعون له في ربوبيته وشرعه.

والحاصل من جميع ما سبق أنه لا يوجد بين طوائف البشـــر من يقول بوجود ربين وإلهين متكـافئين في الصـــفـات والأفعـال؛ فـالمجوس الـذين يجعلون للعـالم خالقين، لا يســـوون الظلمة بالنور، بل النور عندهم هو الأصـــل الأزلي، وكذلك النصـــارى لا يجعلون الأقانيم الثلاثة بدرجة واحدة، بل الأب عندهم هو الأقنوم الأول والإله الأكبر.

الخاتمة

بـداية أحمـد الله على فضـــلـه، وعظيم مَنِّهِ وكرمـه وجوده، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، وأصـــلي وأســـلم على الرحمة المهداة وعلى أله وصـحبه أجمعين، وبعد: فإن من أهم النتائج والتوصـيات التي توصـلت إليها من خلال بحثي ما يلي:

- الإيمان بتوحيد الربوبية هو ضـــمن الإيمان بالركن الأول من أركان الإيمان الســتة، وهي: الإيمان بالله، وملائكتـه، وكتبـه، ورســـلـه، وباليوم الآخر، وبالقـدر خيره وشـــره، وكـذلـك هو ركن من أركـان التوحيد، ولا يتم توحيد الإنسـان إلا به، وهو يستلزم توحيد الألوهية أي أن الباب الذي دخل منه توحيد الألوهية هو توحيد الربوبية.

- توحيـد الربوبيـة لا يكفي في حصـــول الإسلام، بل لا بد من توحيد الألوهية؛ لأن المشركين مقرون بهذا التوحيد، ومع هذا لم يكونوا مســـلمين سُـفكت دمائهم وسُـبي نسـائهم، وأُبيحت أموالهم؛ بسبب إشراكهم في توحيد العبادة.

- الإيمـان بالخـالق فطري، وليس تقليـدًا، ويدعمه المشـاهدة، والحس، والوحي، والعقل، وليس فقط التقليد، بل التقليد هو آخر الطرق، فالاستدلال على وجود الله بغير دليل الفطرة المغروســة في النفس البشـــريـة هو من باب تعـدد الأدلـة التي تزيـد في التصديق، واليقين، والمعرفة ليس إلا.

- الاســـتدلال على الخالق بخلق المخلوقات الكثيرة طريقة عقلية صـــحيحة، وهي شـــرعية دل القرآن عليها، والذي يؤمر بالنظر والاســـتدلال هو الملحـد الـذي ينكر وجود الله، ولكن ليس بالنظر على طريقة المتكلمين المعقدة، بل على طريقة القرآن الكريم التي هي أقصر الطرق لمعرفة الله.

- لم ينكر وجود الله إلا القليل على مرِّ التاريخ مقارنة مع من يثبت وجوده؛ فالذي أنكر وجوده إما ظاهرًا فقط واستكبارًا مع إيمانه بخلاف ذلك في قرارة نفسـه، وإما معترف بوجود صـانع مدبر، ولكنه يحيل ذلك إلى الطبيعة أو المادة أو الدهر.

- المشركون يقرون بتوحيد الربوبية إقرارًا مجملًا؛ ففطر بني آدم مقرة بالربوبية، ولم يُعرف طائفة تجادل أو تنكر أن الله هو الخالق إلا فيما ندر؛ فلم يعرف في بني آدم من أثبت مع الله خالقًا مســـاويًا له في

الصفات ومشاركًا له في الأفعال، أي لا يوجد من قال: بوجود ربين وإلهين متكافئين في الصفات والأفعال، ولكن يوجد في بعض بني آدم من أثبت خالقًا مع الله مساويًا له في بعض أفعاله فقط.

وأما التوصيات: أوصي بعمل مكتبات متخصصة لنقد الإلحاد تضُم ما كتب باللغات الأجنبية وترجمتها إلى اللغة العربية، وإقامة الندوات والمؤتمرات الحضورية أو عن بعد؛ لرد شبهات الملاحدة والمشركين، ونشر الأبحاث والخلاصات المقدمة للاستفادة منها، والاهتمام بدراسة عقائد الشعوب الأخرى وأفكارها وتحليلها ونقدها والرد عليها؛ لأن في ذلك خدمة للعقيدة الإسلامية الصافية وإبرازًا لمحاسن الدين الإسلامي. هذا وفي الختام أشكر الله تعالى أن يسَّر لي البحث والكتابة، ومن ثم أشكر القائمين والمسؤولين ممن سخروا أوقاتهم وبذلوا قصارى جهدهم لخدمة ودعم الباحثين والباحثات في الصروح العلمية الشامخة. سائلة المولى أن ينفع به المسلمين، ويجعله حجة لي لا علي، وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربِ العالمين.

المصادر والمراجع

أولًا: الكتب العلمية.

1. أصل الأنواع، لتشارلز داروين، ترجمة/ إسماعيل مظهر، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2017م.
2. أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، إعداد/ نخبة من العلماء، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، 1421هـ.
3. أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، لحافظ بن أحمد الحكمي، تحقيق/ حازم القاضي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط2، 1422هـ.
4. أقوال المفسرين في جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر، محمد بن جرير الطبري، دار التربية والتراث- مكة المكرمة، ط: بدون.
5. التعريفات الاعتقادية، لسعد بن محمد آل عبد اللطيف، دار الوطن- الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1422هـ، ص57-60.
6. الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد، لسعود بن عبد العزيز العريفي، دار عالم الفوائد- المملكة العربية السعودية، ط1، 1419هـ.
7. الإلحاد وآثاره في الحياة الأوروبية الحديثة، لصالح أسحاق بامبا صالح، رسالة ماجستير في جامعة الملك عبد العزيز بجدة، 1400هـ.
8. العلم من منظوره الجديد، لروبرت أغورس وجورج ستانسيو، ترجمة الدكتور/ كمال خلايلي، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، 1989م.
9. تفسير القرآن العظيم، لابن كثير الدمشقي، المكتبة التجارية، مصطفى أحمد الباز، مكة المكرمة.
10. درء تعارض العقل والنقل، لأبي العباس، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الدمشقي، تحقيق/ محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط2، 1411هـ_1991م.
11. رحلة عقل، لعمرو شريف، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط9، 1446هـ.

12. شرح العقيدة الأصفهانية، لأبي العباس، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الدمشقي، تحقيق: حسين محمد مخلوف، دار الكتب الإسلامية.

13. شرح العقيدة الطحاوية، لعلي بن أبي العز الحنفي، تحقيق/ عبد الله التركي، وشعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط2، 1424هـ

14. شرح الأصول الثلاثة، للإمام محمد بن عبد الوهاب- رحمه الله-، للشيخ/ عبد الرحمن بن ناصر البراك، سلسة منشورات مؤسسة شبكة نور الإسلام، أعد أصله: اللجنة العلمية بشبكة نور الإسلام، وراجعه وقرأه على المؤلف الشيخ: عبد الرحمن بن صالح السديس.

15. شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، تحقيق: أحمد شاكر، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط1، 1418هـ.

16. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لأبي العباس، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الدمشقي، تحقيق: علي بن حسن، عبد العزيز بن إبراهيم، حمدان بن محمد، دار العاصمة، السعودية، ط2، 1419هـ-1999م.

17. (الإلحاد) أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها، للشيخ/عبد الرحمن عبد الخالق، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ط 2، 1404هـ

18. الله يتجلى في عصر العلم، لمجموعة من الباحثين الأمريكيين، إشراف/ جون كلوفرمونسيا، بيروت، دار القلم.

19. معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكريا الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ_1979م.

20. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، لأبي العباس، أحمد بن عبد الحليم الحراني الدمشقي، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- المملكة العربية السعودية، ط1، 1406هـ_1986م.

21. جزيرة العرب قبل الإسلام، لبرهان الدين دلّو، منشورات آنيب- الجزائر، ودار الفارابي- بيروت، 1989هـ-2007م، ص 621-623.

22. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي- بيروت، ط3، 1416هـ

23. منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى، لخالد بن عبد اللطيف بن محمد نور، مكتبة الغرباء الأثرية، ط1، 1416هـ_1995م.

24. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر، محمد بن جرير الطبري، دار التربية والتراث- مكة المكرمة، ط: بدون.

25. المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق/ صفوان عدنان الداودي، دار القلم، بيروت، ط1، 1423هـ.

26. الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، لناصر القفاري وناصر العقل، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، 1426هـ.

27. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، لمانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية، ط4، 1420هـ.

28. دعوة التوحيد (أصولها- الأدوار التي مرت بها- مشاهير دعاتها)، لمحمد خليل هراس، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1406هـ_1986م.

29. دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، للدكتور/ سعود الخلف، أضواء السلف، الرياض، ط1، 1422هـ.

30. فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، رئاسة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض.

31. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، لسليمان بن عبد الله بن محمد آل الشيخ، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي- بيروت، ط1، 1423هـ-2002م.

32. عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: إسماعيل بن غازي مرحبا، دار عطاءات العلم- الرياض، ط4، 1440هـ_2019م.

33. مجموع الفتاوى للشيخ/ أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، 1425هـ_2004م.

34. قاعدة في المحبة، لابي العباس، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الدمشقي، تحقيق: محمد رشاد سالم، مكتبة التراث الإسلامي- القاهرة.

35. معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، للحافظ بن أحمد بن علي الحكمي، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم- الدمام، ط1، 1410هـ-1990م.

36. النبوات، لابن تيمية الدمشقي، تحقيق: عبد العزيز صالح الطويان، أضواء السلف، الرياض- المملكة العربية السعودية، ط1، 1420هـ.

37. الفيزياء ووجود الخالق، للدكتور/ جعفر شيخ إدريس، المنتدى الإسلامي، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، 1422هـ- 2001م.

ثانيًا: المواقع الالكترونية.

38. تقصيات جديدة في مباحث العقل والدماغ على الرابط التالي: https://www.nizwa.com/.

39. جامع الأدلة على وجود الله ونقد شبهات الملاحدة، للدكتور/ ربيع أحمد السلفي، موقع الألوكة منشور بتاريخ 2011/3/23م على الرابط التالي: جامع الأدلة على وجود الله مع نقد شبهات الملاحدة حولها سلسلة متجددة(alukah.net)

40. الموسوعة الحرة ويكيبيديا على الرابط التالي: شبكي العقدي - ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.